الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل: 1435091476

يوسف أبو الفضل النحوي ومكانته العلمية والروحية في المغرب الإسلامي (433-513هـ/1041-1119م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في:

شعبة: التاريخ **تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط**

إعداد الطالبة:
يمينة طيباوي

إشراف الدكتور:
النذير قوادرية

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
01	عبد العزيز شاكي	أستاذ محاضر-أ-	جامعة محمد بوضياف-المسيلة	رئيسا
02	النذير قوادرية	أستاذ محاضر-ب-	جامعة محمد بوضياف-المسيلة	مشرفا ومقررا
03	إسماعيل تاحي	أستاذ محاضر-ب-	جامعة محمد بوضياف-المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1439-1440هـ/ 2018-2019م

شكر وعرفان

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضي ولك بعد الرضى، الحمد لله الذي منّ عليّ بإتمام دراستي وإنجاز هذا العمل فإن أصبت فبتوفيق من الله فإن أخطأ فمن نفسي ومن الشيطان وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى صحبه أجمعين

أتقدم بعبارات التقدير والاحترام وكلمات الشكر بصفة خاصة إلى الأستاذ قوادرية النذير الذي حظيت بإشرافه تقديرا وعرفان بكل ما قدمه لي من مساعدة في مشوار ورسم درب الدراسة متمنيتا له التوفيق والسداد

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من أوصى بهما في كتابه الكريم

قال الله تعالى: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

إلى من ركع العطاء أمام قدميها إلى الغالية التي أنار الأمل إلا من عينيها

إلى نبع الحنان

إلى من كان دعائها سر نجاحي

إلى أمي الحبيبة

إلى من سهر الليالي وعمل بكد في سبيلي وعلمي معنى الكفاح

إلى الذي شقى وتعب من أجل راحتي

إلى الذي لم يبخل عليّ بشيء

إلى أبي الكريم

إلى كانوا الأب والأم قبل الإخوة

إلى إخوتي وأخواتي

وإلى كل عائلتي

وإلى كل من زميلاتي نور الهدى، نور، فايزة، حياة، حيزية

مقدّمـــــة

- مقدمة:

تميز تاريخ المغرب الإسلامي بنشاط ملحوظ في المجال العلمي والفكري في العصر الوسيط، خصوصا في عهد الدولة الحمادية والذي نبغ فيه عدد كبير من العلماء الذين كان لهم دور كبير في التواصـــل العلمي بهدف تناقل العلم والمعرفة، وهذا من خلال مؤلفاتهم ورحلاتهم ومناظراتهم العلمية، حيث ساهمت المبادرات الفردية بشكل كبير في تنشيط الحياة الفكرية، فمعظم هؤلاء العلماء قد جالوا أقطار العالم الإســلامي عامة لأداء فريضــة الحج أو التتلمذ أو التدريس مما أدى بهم إلى الاحتكاك بالشيوخ والعلماء.

-التعريف بالموضوع وأهميته:

عرف العديد من العلماء برصـــيدهم العلمي ومكانتهم الثقافية في أوســـاط المجتمع المغاربي الإســـلامي، لذا ارتأينا للقيام بدراســـة تاريخية تخص أحد هؤلاء العلام فكان عنوان الموضـوع موسـوما بشـخصـية "**يوسـف أبو الفضـل النحوي ومكانته العلمية والروحية في المغرب الإسلامي (433-513هـ/1041-1119م).**

وتكمن أهمية الموضـوع في أنه يؤرخ لأحد العلماء الأجلاء الذين أنجبهم بلاد المغرب الإسلامي (433-513هـ/1041-1119م). والذي شارك في إثراء الحركة العلمية بالمنطقة، وكان له تثير كبير من الناحيتين العلمية والروحية.

-أسباب اختيار الموضوع:

لقد دفعتنا مجموعة من الأسباب المختلفة لاختيار هذا الموضوع، ويمكن إجمالها فيما يلي:

أ-الأسباب الذاتية:

شـــعورنا بالانتماء التاريخي والحضـــاري إلى هاته المنطقة، وكذلك اهتمامنا بتاريخ وتراث قلعة بني حماد المادي، حيث يتطرق بحثنا إلى شـخصـية مشـهورة في القلعة الحمادية مازال ضريحها قائما إلى اليوم وهي يوسف أبو الفضل النحوي.

القناعة والميول الشـــخصـــي والمتمثلة في رغبتنا في إنجاز هذا الموضـــوع بهدف المساهمة في كتابة تاريخ المغرب في العصر الوسيط، وأن يكون هذا العمل إضـافة معرفية للمكتبة، بالإضـافة إلى واجب التعريف بهذه الشـخصـية المهمة والتي كان لها مسـاهمة علمية فعالة.

ب-الأسباب الموضوعية:

ومن الأسباب الموضوعية التي جعلتنا نختار الموضوع هي الأهمية البالغة لدراسة التراجم التاريخية والتعريف بها في مختلف الجوانب، حيث سعى دارسوها إلى الكشف عن الأدوار البارزة والفعالة في مختلف النواحي لا سيما العلمية والصوفية، كما أن الدراسات التاريخية أصبحت لا تستغني عن مثل هذه المواضيع، مما دافعنا إلى البحث في تاريخ واحدا من أشهر الأعلام الذين أنجبهم المغرب الإسلامي، ولعل شخصية أبو الفضل النحوي تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة.

وكذلك قلة الدراسات المتعلقة بهذه الشخصية، إذ أنه لم ينل حظه من الدراسة والبحث رغم مكانته العلمية والروحية.

محاولة إبراز دوره ومساهمته في إثراء الحياة الفكرية بالمغرب الإسلامي عامة، والمغرب الأوسط على وجه الخصوص، وتطرقنا إلى عدد من العلماء الذين كانت له صلة بهم واشتهروا بالعلم والمعرفة، حيث شغلوا وظائف عامة منها التدريس والإفتاء.

محاولة إظهار مدى تأثير الأوضاع السياسية على الحركة العلمية ببلاد المغرب خلال القرن (433-513هـ/1041-1119م). وتبيان أهمية الرحلة العلمية ومدى حرص علماء المغرب الإسلامي على القيام بها والتنقل بين الحواضر العلمية.

- **أهداف البحث:**

لقد سعينا من خلال هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف والغايات والتي نلخصها فيما يلي:

- التعريف بشخصية يوسف أبو الفضل النحوي.
- المكانة العلمية التي تبوأها ابن النحوي (في كونه مدرس له كوكبة من الطلبة، عرف برحلاته العلمية للحواضر الإسلامية، المشهور بقصيدة المنفرجة).
- المكانة الصوفية التي تميز بها يوسف أبو الفضل النحوي (والتي تظهر من خلال الرباطات، الزهد، والكرامات الصوفية التي عرف بها).
- إنجاز بحث يكون ملم وشامل من أجل دراسة هذه الشخصية.

- **إشكالية البحث:**

تتمحور إشكالية البحث حول إبراز دور يوسف أبو الفضل النحوي بحواضر المغرب الإسلامي، وهذا من خلال التعرف على نشاطه العلمي والصوفي، وذلك من خلال الإشكالية الرئيسية التالية:

- إلى أي مدى كانت شخصية يوسف أبو الفضل النحوي تتمتع بمكانة علمية وروحية مرموقة في المغرب الإسلامي خلال القرنين (433-513هـ/1041-1119م)؟ وكيف كانت تنقلات هذه الشخصية بين أقطار المشرق والمغرب الإسلاميين؟

ولمناقشة هذه الإشكالية وجب علينا الإجابة عن عدة تساؤلات فرعية:

- من هو يوسف أبو الفضل النحوي؟
- ما هي الظروف التي نشأ فيها يوسف أبو الفضل النحوي؟
- من هم شيوخ وتلاميذ ابن النحوي؟
- هل كان لقصيدة المنفرجة تأثير على المكانة العلمية لابن النحوي؟
- وما مدى مساهمة أبو الفضل النحوي في التواصل العلمي بين الحواضر الإسلامية؟ وإلى أي مدى ساهمت الكرامات الصوفية في تكوين شخصية ابن النحوي الروحية؟

- **الدراسات السابقة:**

- **كتب التراجم والطبقات:**

- كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لأبي عبد الله محمد التلمساني المعروف بابن مريم، يعتبر من أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في البحث، حيث ترجم لمجموعة من الأعلام، فقد ترجم لابن النحوي وتحدث عن كراماته.
- كتاب التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي لأبي يعقوب بن يحي التادلي ابن الزيات، يعتبر من أهم كتب التراجم التي ترجمة لكرامات ابن النحوي بشكل مفصل.

- كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لبرهان الدين علي بن محمد بن فرحون، وقد قدم فيه ترجمة للعديد من العلماء المالكية بدءا من الإمام مالك، وقد أفادنا في ترجمة لشيوخ ابن النحوي.
- كتاب هدية العارفين في آثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي، وظفناه في معلومات حول قصيدة المنفرجة.
- كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من علماء بجاية في المائة السابعة ببجاية لمؤلفه أبو العباس أحمد الغبريني، وهو عبارة عن تراجم لمشاهير أعلام بجاية، ساعدنا في معرفة دور المتصوفة في التعليم وترجمة لابن النحوي.
- كتاب شجرة النور الزكية في الطبقات المالكية لمحمد بن عبد الملك مخلوف المالكي، والذي ترجم فيه للعديد من العلماء المالكية في جميع الأقطار والأقاليم والبلدان الإسلامية، وقد استفدنا منه في الترجمة لتلاميذ ابن النحوي.
- **كتب الرحلة:**
- كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك، لأبي عبد الله البكري، وقد اعتمدنا عليه في التعريف ببعض المدن كموقع قلعة أبي الطويل، تكمن أهميته أنه عايش الحدث في نهاية القرن الخامس الهجري، رغم أنه لم ينزل بلاد المغرب.
- كتاب وصف إفريقية لحسن الوزان الفاسي، الذي سجل فيه وصفا للأقاليم التي مر بها ببلاد المغرب الإسلامي، وقد أفادنا في تحديد موقع سجلماسة.
- **كتب التاريخ العام:**
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لعبد الرحمن ابن خلدون، خاصة الجزء السادس الذي ساهم في بحثنا بشكل كبير في طرق وانتشار التصوف، كما تعد مقدمة ابن خلدون من أهم المصادر الخادمة للموضوع.
- **المراجع:**
- كتاب أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى لعبد المنعم الفاسي، أفادنا في الترجمة لابن النحوي.

- كتاب المنفرجة لأبي الفضل يوسف ابن النحوي شرحا لأبي حسن البصوري لمؤلفه أحمد بن محمد، والذي أفادنا في شرح قصيدة المنفرجة.
- كتاب التصوف في الجزائر خلال القرنين (6-7هـ/12-13م) (نشأته، تياراته، دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي) للطاهر بونابي، أفادنا في التعريف بالتصوف في المغرب الأوسط وأهم المؤلفات الصوفية في ذاك العصر.
- كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، والذي أفادنا في الترجمة لشيوخ ابن النحوي.
- **منهج البحث:**

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة اتبعنا في بحثنا هذا المنهج التاريخي، حيث اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع ذات صلة بالموضوع في تتبع مراحل حياة أبو الفضل النحوي ودوره.

- **خطة البحث:**

لدراسة هذا الموضوع اتبعت خطة مكونة من ثلاث فصول: حيث تناول في كل فصل مجموعة من النقاط.

فالفصل التمهيدي عنوانه بـ"استقرار أبو الفضل النحوي بقلعة بني حماد وتنقلاته بين مدن المشرق والمغرب"، وكان عبارة عن إحاطة شاملة للتعريف بشخصية أبو الفضل النحوي والظروف المحيطة به في القلعة الحمادية مركزة فيه على أربعة نقاط وهي الجذور الأولى للحماديين بالمغرب الأوسط، ازدهار الدولة الحمادية في المغرب الأوسط، عصر يوسف أبو الفضل النحوي (الذي شمل مولده ونشأته، وفاته وضريحه)، شخصية يوسف أبو الفضل النحوي، والمدن الإسلامية التي زارها أبو الفضل النحوي.

أما الفصل الأول فقد عنونته بـ"المكانة العلمية ليوسف أبو الفضل النحوي"، والذي يتضمن شيوخ أبو الفضل النحوي وتلاميذه، والرحلات العلمية لابن النحوي، وموقفه من العلامة أبو حامد الغزالي وكتابه الإحياء وأخيرا مُؤَلف يوسف أبو الفضل النحوي (المنفرجة).

أما الفصل الثاني والأخير فقد عنونه بـ"المكانة الروحية ليوسف أبو الفضل النحوي"، حيث تطرقت إلى ذلك في أربعة نقاط، ظروف انتشار التصوف في المغرب الأوسط، وأهم المتصوفة المعاصرين ليوسف أبو الفضل النحوي، ودور المتصوفة في الحياة الثقافية (الزوايا

والتعليم)، وأخيرا الكرامات الصوفية ليوسف أبي الفضل النحوي، وتوجت هذا البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج المتوصل إليها ثم أتبعتها بملاحق متنوعة تخدم البحث.

- **الصعوبات:**

واجهتنا بعض الصعوبات أثناء إنجازنا لهذا البحث نذكر منها ما يلي:

- عدم توفر المادة العلمية بالشكل المطلوب خاصة المتخصصة منها.
- صعوبة الحصول على الكثير من المعلومات حول يوسف أبو الفضل النحوي لأن كل ما توفر لدينا كان عبارة عن تراجم قصيرة في المصادر، بالإضافة إلى تكرار المعلومة بين المصادر.
- إهمال المصادر التاريخية للجانب العملي من حياة أبي الفضل النحوي (فقد تم ذكره كمدرس فقط دون التوسع في طريقة التدريس أو أوقات التدريس)، كما أن المادة العلمية كانت مبعثرة ومتناثرة بين المصادر والمراجع على قلتها.

وفي الأخير لا يفوتنا أن نجدد شكرنا وامتناننا للأستاذ النذير قوادرية الذي كان لنا خير رفيق طيلة معظم أطوار إنجاز هذا البحث، وعلى نصائحه وتوجيهاته القيمة.

الفصـــــل التمهيدي

استقرار أبو الفضل النحوي بقلعة بني حماد وتنقلاته بين مدن المشرق والمغرب

أولا: الجذور الأولى للحماديين بالمغرب الأوسط

ثانيا: ازدهار الدولة الحمادية في المغرب الأوسط

ثالثا: المدن الإسلامية التي زارها يوسف أبو الفضل النحوي

تمهيد:

ولد وترعرع يوسف أبو الفضل النحوي بمدينة توزر بالجنوب التونسي، وبعد تلقيه تعليمه الأولى بها سافر إلى العديد من الأقطار والمدن كمصر والقيروان ومكة، ليتتلمذ على يد علماء أجلاء، ثم انتقل بعد ذلك إلى المغربين الأوسط والأقصى ناشرا للعلم، حيث كتب له المقام بالعديد من الحواضر كفاس وسجلماسة ليستقر في الأخير بقلعة بني حماد بصفة نهائية، حتى نسبه العديد من المؤرخين إليها.

أولا: الجذور الأولى للحماديين بالمغرب الأوسط.

تميز تاريخ المغرب الإسلامي منذ بداية الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري بظهور العديد من المدن والحواضر[1]، حيث عرفت بلاد المغرب في هاته الفترة مرحلة انتقالية وهي تأسيس القبيلة الصهناجية[2]، بعدما كانت السلطة تحت نفوذ العبيديين الذين حاولوا إخضاع السكان لهم، ويعتبر أول من ظهر من صنهاجة هو زيري بن مناد، حيث تفرعت قبيلة صنهاجة إلى دولتين:الدولة الزيرية التي حكمت إفريقية وعاصمتها المهدية، والدولة الحماية التي تولت أمر المغرب الأوسط، واتخذت آشير عاصمة لها، ثم القلعة[3]، التي أصبحت قاعدة الحكم ومركز نفوذ بني حماد الذين كان لهم الفضل الكبير فيها.[4]

أ-موقع قلعة بني حماد: تنسب القلعة إلى مؤسسها حماد بن بلكين بن زيري[5] الذي أراد تكوين إمارة مستقلة يحكمها هو وأولاده، وتسمى أيضا "قلعة أبي الطويل"[6]، كما يسميها البكري (398هـ/1007م)، وهي تقع على منحدر وعر على المرتفعات الشمالية للحضنة وتبعد بمسافة 36 كلم من المسيلة (الملحق 01).

---

[1]- يوسف بن أحمد (حوالة)، **الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس هجري)**، ط1، ج1، مكتبة الفهد الوطنية، مكة المكرمة-المملكة العربية السعودية، 2000، ص86.

[2]- الصنهاجية نسبة إلى صنهاج وهو أح أبناء برنس بن نعمان بن حام بن نوح تقسم إلى بطون منها بطن الحماديين، ينظر: عبد الحليم (عويس)، **بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر**، ط1، دار الشروق، الجزائر، 1980، ص10.

[3]- توهامي (مكاتي)، **الدولة الحمادية بالمغرب الأوسط وعلاقاتها الخارجية (405-547هـ/1014-1152م)**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، جامعة سعيدة، الجزائر، 2014-2015، ص04.

[4]- خالد (بلعربي)، **البنية العمرانية لقلعة بني حماد**، ع5، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2009، ص28.

[5]- حماد بن بلكين بن زيري كان شجاعا جوادا قرأ الفقه بالقيروان، نظر في الجدل وكان من أكمل الملوك، ينظر: لسان الدين (ابن الخطيب)، **أعمال الأعلام (تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط)**، تحقيق: أحمد مختاري العبادي، ومحمد إبراهيم الكناتي، دار الكتاب، الدار البيضاء-الجزائر، د.ت، ص71.

[6]- قلعة أبي الطويل وهي قلعة كبيرة ذات منفعة وحصانة تمصارت عند خراب القيروان وهي مقصد التجار تحل بها الرحلات من العراق والشام وسائر بلاد المغرب، وهي مستقر مملكة صنهاجة، ينظر: عبيد الله (البكري)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة-مصر، ص49.

يقول النويري: «وهي على جبل عجيسة» وهو جبل عظيم[1]، فهي مدينة تسلقت قمة الجبل وتبوأت قمة رأسه وذروة سنامه، فانتظمت في صنف الحصون والقلاع[2]، أما ابن خلدون فأطلق على الجبل الذي اختطت فيه القلعة اسم كتامة[3]، كما ذكرها ياقوت الحموي بقوله: «قلعة بني حماد متوسطة بين أكم وأقران ولها قلعة عظيمة على جبل تاقربوست»[4]،

أما الإدريسي «...وأما من جهة الجنوب أرض سهلة متصلة بالانفراج لا يرى عليها الناظر فيها جبلا عاليا ولا شرفا مطل»، تقع قلعة بني حماد في ولاية المسيلة، شرق برج بوعريريج تحدها جنوبا برج الغدير.[5]

ثانيا: ازدهار الدولة الحمادية في المغرب الأوسط

في سنة (398هـ/1007م) نقل ابن حماد إلى القلعة أهل المسيلة وأهل حمزة[6]، وقبيلة جراوة من المغرب وأنزلهم بها[7]، ومن أجل استقلال وتحصين دولته فتح أبوابها لكل من أراد الأمن، فازدحمت القلعة بسبب توفير الإمكانيات من قصور ومساجد وفنادق[8]، فلم يضع الحماديون أمام المغاربة الوافدين أي عوائق تعيق إقامتهم، الأمر الذي أدى تعظيم الحركة العلمية والثقافية، وجعل من القلعة قبلة لطلاب العلم ومحط لسكان القيروان الذين هربوا من

---

[1]– عبد الوهاب (النويري)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: عبد الحميد ترحيني، ج24، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ص106.

[2]–؟؟؟؟**مدينة قلعة بني حماد**، ملتقى دولي حول مدينة قلعة بني حماد ألف سنة من التأسيس (398–1427هـ/1007–2007م)، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، من 09–11 أفريل 2007، ص53.

[3]– عبد الرحمن (ابن خلدون)، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج6، دار الفكر، بيروت–لبنان، 1421هـ/2000م، ص202.

[4]– ياقوت (الحموي)، **معجم البلدان**، ج4، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، 1984، ص390.

[5]–Léon (de beylie), **Lakaaa des Beni–Hammad, (une capilal berber de L'afrique de Nord au XI sicle)**,paris, 1909, p 32.

[6]– مدينة بالمغرب نزل بها وبناها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأبو الحسن بن سليمان وهو الذي دخل المغرب، ينظر: ياقوت (الحموي)، ج2، **المصدر السابق**، ص302.

[7]– رشيد (بورويبة)، **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1977، ص20.

[8]– عبد الحليم (عويس)، **دولة بني حماد صحفة مشرقة من التاريخ الجزائري**، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة–مصر، ص94.

بني هلال فكان لهم الفضـــل في تطويرها، وهذا ما أكده ابن خلدون بقوله: «رحل إليها من الثغور القاسية والبلاد البعيدة طلاب العلم»، ويعتبر تاريخ 408هـ/1017م هو التاريخ الفعلي لتأسيس دولة بني حماد بعد الاعتراف الزيري بها.[1]

كما عرفت الدولة الحمادية ازدهارا ثقافيا كبيرا بفضـل المناخ الثقافي الذي شـجع على التطور الفكري والنهوض الحضـاري، حيث ركز ملوكها على العنصـر البشـري الذي يتميز بالقدرة على الإبداع، فقد قامت على أسس سليمة ودعائم قوية، فالإسلام هو دين الدولة الذي دعا للعلم والمعرفة، مصـداقا لقوله تعالى: ﴿...**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[2]، وقوله:﴿ **شَـهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾.[3]

أ- **سقوط الدولة الحمادية:** دام عمرها ما يقارب قرن ونصـف منذ أن اختط حماد القلعة إلى غاية سقوطها على يد الزعيم الموحدي عبد المؤمن بن علي سنة 547هـــ/1152م.[4] فمنذ اسـتقلال الدولة الحمادية عن الزيريين وهي تواجد العديد من التحديات والقوى الخطيرة، فكان لابد عليها من اليقظة والاسـتعداد[5]، فقد تعرضـت للعديد من المواجهات التي أدت إلى توالي سقوط حواضرها واحدة تلوى الأخرى، حيث تغلب عبد المؤمن بن علي على بجاية وملكها ثم

---

[1]- أسـماء (مختاري)، **قلعة بني حماد الوزن السـياسـي والدور الحضـاري في العهد الحمادي**، مذكرة تخرج لنيل شـهادة الماستر، تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، الجزائر، 2014-2015، ص18.

[2]- القرآن الكريم، سورة المجادلة، الآية 11.

[3]- القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 18.

[4]- عبد المؤمن بن علي (487-558هـ/ 1094-1163م)، هو عبد المؤمن بن علي بن يعلى بن مروان، ولد في الغرب الجزائري تتلمذ على يد ابن تومرت وبايعه أصـحاب ابن تومرت، حيث مدحه وقرّبه إليه، أنظر، محمد علي (الصـلابي)، **الدولة الموحدية**، دار البيارق، عمان-الأردن، ص 96.

[5]- عبد الحليم (عويس)، **المرجع السابق**، ص 198.

ملك قلعة بني حماد[1]، وبالتالي كان سقوط الدولة الحمادية سنة 547هـ/1152م وأصبحت كل حواضرها تحت ملك الموحدين وانقرض ملك بني حماد.[2]

ب-بروز شخصية يوسف أبو الفضل النحوي بالقلعة: ومن أبرز العلماء الذين عاشوا في قلعة بني حماد وارتبطت أسمائهم بها نجد، يوسف أبو الفضل النحوي. واسمه الكامل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي سنة (433-513هـ/1041-1119م)[3]، ويكنى بأبي الفضل التوزري[4] الأصل من قلعة بني حماد[5] الإمام العالم العامل المحقق العمدة القدوة الفاضل من أهل العلم والدين ناظم القصيدة المنفرجة المشهورة[6]، عاصر ابن النحوي الكثير من معاصريه بالأسفار الكثيرة التي قام بها في أنحاء المغرب ودخل سجلماسة ثم عاد إلى القلعة، عاصر الدولة الحمادية بالقلعة وبجاية والدولة الزيرية بالمهدية والدولة المرابطية في مراكش.[7]

ج-ظروف مجيء ابن النحوي إلى قلعة بني حماد ووفاته بها: انتقل إلى مكة وانقطعت أخباره عن أهله لسنوات وأصبح في حكم المفقود، فاستغل والي توزر غيابه واستحوذ على ضياعه وأملاكه، ولما رجع إلى بلده طالب بحقوقه فمنع منها[8]، فرحل من توزر واستقر بقلعة بني حماد سنة 494هـ/1103م -، كان حريصا على نشر العلم والهداية واستوطن بالقلعة بعد

---

[1]- عبد الواحد (المراكشي)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: محمد السعيد العريان، ج1، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالجمهورية العربية المتحدة، د.ت، ص283.

[2]- عبد الرحمن (ابن خلدون)، ج6، **المصدر السابق**، ص236.

[3]- أحمد بن القاضي (المكناسي)، **جذوة الاقتباس (في ذكر من حل من أعلام مدينة فاس)**، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص552.

[4]- توزر مدينة في أقصى إفريقيا من نواحي الزاب الكبير بينها وبين نفطة فواسخ أرضها سبخة بها نخل كثير، ينظر: ياقوت الحموي، **المصدر السابق**، ص67.

[5]- أحمد بابا (التنبكتي)، **نيل الابتهاج في تطريز الديباج**، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، ج1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس-ليبيا، ص 622.

[6]- محمد بن محمد (مخلوف)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ص127.

[7]- عبد الغني (حروز)، «**تراجم أبرز علماء قلعة بني حماد**»، دورية كان التاريخية، ع5، 2013، ص125.

[8]- النذير (قوادرية)، **الآثار الريفية العقارية والمنقولة وإشكالية حمايتها واستغلالها سياحيا -منطقة الحضنة أنموذجا-**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الريفية والصحراوية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2017-2018، ص49.

عودته من فاس لازدهارها بالعلوم والآدب.[1] في سنة ثلاثة عشر وخمسمائة(513هـ/1119م) توفي أبو الفضل النحوي بقلعة بني حماد، وكان قبره مشهورا بالبركة.[2]

مازال ضـريحه موجودا إلى اليوم بجوار المسـجد[3]، (الملحق 02) فهذا الولي الصـالح الذي أطلق اسـمه على القرية الصـغيرة التي لا تزال قائمة مخلدة لذكراه (الملحق 03)[4]، رغم مرور تسعة قرون، محل احترام سكان المعاضيد الذين يسمونه سيدي بلفاضل، كما يلتصق بالضـريح من الجهة الجنوبية مسـجدا سـمي باسـمه وهو من أقدم المسـاجد بكامل منطقة المعاضيد (المحلق 04).

ثالثا: المدن الإسلامية التي زارها يوسف أبو الفضل النحوي.

بعدما نشـأ وترعرع يوسـف أبو الفضـل النحوي في مدينة توز، سـاقته الظروف للزيارة أو الإقامة ببعض المدن في المشـرق والمغرب الإسـلاميين، منها مكة وفاس، لذلك سـنعطي لمحة تاريخية عنها قصد الإحاطة بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي أثرت في تكوين شخصية هذا العلامة.

أ-لمحة تاريخية عن مدينة توزر: تقع توزر في الجنوب الغربي لتونس وهي الشـمال الغربي لشط الجريد وهي مركز بلاد الجريد، على بعد 430 كم من تونس العاصمة.[5]

ب- لمحة تاريخية عن مدينة مكة المكرمة: كان يوسـف أبو الفضـل النحوي من المغاربة الحارصين على أداء مناسك الحج، باعتبارها ركن من أركان الإسلام، فرغم بعد المسافة بين

---

[1]- عبد المنعم (القاسـمي)، **أعلام التصـوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، ط1، دار خليل قاسمي، الجزائر، ص529.

[2]- أبو العباس أحمد بن خالد (الناصـري)، **الاسـتقصـاء (لأخبار دول المغرب الأقصـى الدولتان المرابطية والموحدية)**، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء-المغرب، 1997، ص74.

[3]- يقال ضـرح القبر أي حفرة وهو الشـق المسـتقيم وسـط القبر وهو مدفن شـخص له مكانة لتخليد ذكراه يقع ضـريح ابن النحوي في قرية الدشـرة بالمعاضـيد (36 كلم شـمال شـرق ولاية المسـيلة في الجهة الغربية لمحيط الموقع الأثري لقلعة بني حماد)، ينظر: النذير قوادرية، **المرجع السابق**، ص48.

[4]- الإدريسـي هادي (روجي)، **الدولة الصـنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10-12م)**، ترجمة: حماد الساحلي، ط1، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ص104.

[5]- https://ar.wikipedia.org/wiki/توزر شوهد يوم 2019/06/05 على الساعة 9.50

المغرب والمشرق إلا أن ابن النحوي كانت له رحلة مشرقية قصد فيها الحجاز، وهي المدينة المشرقية التي توافد عليها العلماء المغاربة مما وفر للعلماء وطلاب المغرب الأوسط فرصة لقاء الشيوخ والفقهاء وأعيان علماء المغرب الأقصى ممن ذاع صيتهم في المشرق والمغرب ليتم التبادل الثقافي والعلمي[1]، وقد سمي الحجاز لأنه حجز بين الغور والشام وقيل حجز بين النجد والسراة، وقالوا: بلاد العرب من الجزيرة التي نزلوها على خمسة أقسام تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن، وجبل السراة هو الحد بين تهامة ونجد لأنه أقبل من اليمن، وهو أعظم جبال العرب حتى بلغ بوادي الشام بسمته العرب حجازا.[2]

ج- لمحة تاريخية عن مدينة فاس: مدينة مغربية أسسها إدريس بن إدريس الذي توفي 213هـ/828م[3]وهي أعظم مدينة من مصر إلى آخر بلاد المغرب ومدينة فاس مدينتان مفترقتان، شق بينهما نهر كبير يسمى وادي فاس ويدور عليها[4]، حيث ابتنى المسلمون المساجد بفاس فصارت منارة للعلم أشهرها جامع القرويين، ثم ازداد عدد المباني ولا سيما في عهد يوسف بن تاشفين الذي أمر ببناء المساجد في شوارعها وأزقتها، وأي زقاق لم يجد فيه مسجد عاقب أهله عليه، وبهذا ندرك أن مدينة فاس منذ نشأتها كانت مؤهلة للعلم والعلماء، فقد استجاب الله تعالى لدعاء مؤسسها إدريس الثاني بقوله: «اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلى بها كتابك، وتقام بها حدودك، واجعل أهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها».[5]

---

[1]- محمد ابن مرزوق (الخطيب)، **المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن**، تحقيق، ماريا خيموس، 1981، ص ص 135، 137.

[2]- محمد عبد المنعم (الحميري)، **الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي مع فهارس شاملة)**، تحقيق، إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، ساحة رياض الفتح، لبنان-بيروت، 1985، ص188.

[3]- إدريس بن إدريس، هو إدريس بن إدريس بن عبد اللهن أبو القاسم ثاني ملوك الأدارسة في المغرب الأقصى وباقي مدينة فاس، كان جوادا حازما واستمالة أهل تونس وطرابلس في الغرب والأندلس، توفي بفاس، ينظر: علي بن عبد الله (ابن أبي زرع)، **الأنيس المطرب برض القرطاس في أخبار وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص ص 51-52.

[4]- مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 180.

[5]- علي بن عبد الله (ابن أبي زرع)، **المصدر السابق**، ص 48.

د-لمحة تاريخية عن مدينة سجلماسة: وهي مدينة من أعظم مدن المغرب وهي على طرف الصحراء، بينها وبين غانة الصحراء مسيرة شهرين، وهي مدينة محدثة بنيت سنة 140هـ/757م أسسها مدرار بن عبد الله[1]وهي مدينة متحضرة سكنها الأثرياء بسبب التجارة مع السودان، تميزت بالمساجد والمدارس[2]، وقد تزامن ابن النحوي أثناء دخوله إلى سلجماسة مع حدث مهم وهو قرار علي بن يوسف بن تاشفين متفقا مع الفقهاء المرابطين بإحراق كتاب الإحياء للغزالي وهنا برز موقف ابن النحوي المؤيد للغزالي.

[1]- مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب)**، تعليق، سعد زغلول، د.ط، دار الشؤون الثقافية العامة، د.ت، ص 200.

[2]- حسن بن محمد (الوزان)، **وصف إفريقيا**، ترجمة: محمد حاجي، محمد الأخضر، ط2، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1983، ص 127.

الفصل الأول

المكانة العلمية ليوسف أبو الفضل النحوي في المغرب الإسلامي

أولا: شيوخ يوسف أبو الفضل النحوي وتلاميذه

ثانيا: الرحلات العلمية ليوسف أبو الفضل النحوي

ثالثا: موقف يوسف أبو فضل النحوي من العلامة أبو حامد الغزالي (كتاب الإحياء)

رابعا: مؤلفات يوسف أبو الفضل النحوي (قصيدة المنفرجة)

خامسا: عناية علماء الإسلام بقصيدة المنفرجة

تمهيد:

يعتبر يوسف أبو الفضل النحوي من العلماء القلعيين المشهورين في القرن الخامس والسادس الهجريين في بلاد المغرب الإسلامي خصوصا المغرب الأوسط.

حظي ابن النحوي بمنزلة عظيمة لم يستطع الكثير من العلماء الوصول إليها، وهذا بشهادة المؤرخين والمترجمين الذين كتبوا عنه، وما يدل على علو مكانته وشأنه هو ثقة معاصريه وشيوخ زمانه.

فقد عرف بتبحره في العلم وخير دليل على ذلك هو آراء العلماء فيه: كان ابن النحوي شاعرا مجيدا كشيخه الشقرطاسي ومثقفا يميل إلى الاجتهاد كشيخه المازري بعدما انتهى من حياته العلمية وتكوينه العلمي والثقافي أصبح من العلماء المشهورين البارزين، وهذا ما نصّ عليه ابن الأبار «أنه عارفا بأصول الدين والفقه يميل إلى النظر والاجتهاد ولا يرى التقليد، كان حريصا على بث العلم ونشر الهداية، شجاعا لا يهاب أحد مؤثرا في أتباعه».[1]

كما ذكره ابن مريم «أنه كان من أهل العلم والفضل، شديد الخوف من الله تعالى».[2]

أما الغبريني في عنوان الدراية: «أنه كان من العلماء العاملين على سنن الصالحين».[3]

أما ابن الطواح في سبك المقال في فك العقال «أنه كان من ظرفاء أهل البلد».[4]

قال التنبكتي: «كان أبو الفضل في بلادنا كالغزالي في العراق».[5]

---

[1] – محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ابن الأبار)، **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق: عبد السلام المهراش، د.ط، ج3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، 1415هـ/1995م، ص226.

[2] – محمد بن محمد أبي عبد الله (ابن مريم)، **البستان في ذكر الأوليان والعلماء بتلمسان**، مرجعة، محمد أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، د.ت، ص 153.

[3] – أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس (الغبريني)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت–لبنان، 1979، ص 236.

[4] – عبد الواحد محمد (ابن الطواح)، **سبك المقال في فك العقال**، تحقيق، محمد مسعود جبران، ط2، كلية الدعوة الإسلامية، منشورات الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 1376هـ، ص 03.

[5] – أحمد بابا (التنبكتي)، **المصدر السابق**، ص622.

أما صاحب جذوة الاقتباس: «أنه كان من أهل العلم والعمل».[1]

اقترن اسـمه بالعلامة والفقيه والإمام، لذا يعتبر ابن النحوي من أعلم أهل المغرب في زمانه، فالصـفات الحميدة والخصـال التي تميز بها أعدت له مكانة علمية عالية سـاهمت في تمكنه من عدة وظائف سامية على رأسها التعليم والإفتاء في القلعة وفاس وسلجماسة.

[1] – أحمد بن القاضي (المكناسي)، **المصدر السابق**، ص 552.

أولا: شيوخ يوسف أبو الفضل النحوي وتلاميذه

1-شيوخه:

أ-**أبي زكريا الشقرطاسي:** حرص يوسف أبو الفضل النحوي على لقاء الشيوخ والعلماء الذين عرفوا بالعلم والموســـوعية والذين ذاع صـــيتهم من أجل طلب العلم، فقد أخذ العلم والمعرفة بمجالسة العلماء والاستفادة منهم، واستهل ذلك في مسقط رأسه على يد أبي زكريا الشقرطاسي (ت 466هـــ/1073م)، هو عبد الله بن يحي بن علي أبو محمد الشقرطاسي التوزري، فقيه مالكي من الشعراء ولد بتوزر، سافر إلى القيروان، أخذ عن علمائها ورحل إلى المشرق سنة 429هـــ، وخاض معركة في قتال الفرنج بمصر، ثم عاد إلى توزر فأفتى ودرّس، له تعاليق على مسائل المدونة وفضائل الصحابة والإعلام بمعجزات النبيﷺ. [1]

أخذ العلوم بالقيروان ثم حج وعاد إلى بلده وقرأ العلم بها ونشره وأخذ عنه واشتهر في الآفاق بقصيدة في مدح النبي ﷺ وفي سيرة الصحابة، وهي المعروفة بالشقراطسية[2]، أنشدها بالمدينة تجاه القبر الكريم وشرحها جماعة من العلماء منهم ابن الشباط في مجلدات وخمّسها أبو عمرو عثمان بن عتيق المهدوي المعروف بابن عربية[3]، ثم رحل إلى القيروان فتتلمذ على يد: أبو الحســن بن محمد الربعي المعروف باللخمي القيرواني، فقيها، فاضــلا، متفننا ذا حظ من الأدب.[4]

من الفقهاء المالكية، أصــله من القيروان، توفي بصــفاقس ســنة 478هـــ له كتاب التبصرة، وله تعليق كبير على المدونة.[5]

---

[1] – خير الدين (الزركلي)، **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)**، ط5، ج1، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 2002، ص ص 144-145.

[2] – القصيدة الشقراطسية: اسمها القصيدة اللامية الشقراطسية في مدح خير البرية، وتمسى أيضا (سمط الهدى في الفخر المحمدي)، أنظر: أحمد بن محمود بن علي بن أحمد (شهاد الدين)، **المجمع المؤسس للمعجم المفهرس**، تحقيق: يوسف عبد الرحمن (الرعشلي)، ط1، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1413هـ/1992م، ص 187.

[3] – محمد بن محمد (مخلوف)، **المصدر السابق**، ص 117.

[4] – إبراهيم بن نور الدين (ابن فرحون)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق: مأمون بن محي الدين (الجنان)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1417هـ/1997م، ص 298.

[5] – أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس (الغبريني)، **المصدر السابق**، ص 101.

تفقه بابن محرز وأبي الفضـــل بن خلدون والســـيوري، وظهرت في أيامه فتاوى كثيرة، طال عمره فأصبح من علماء إفريقية، تفقه على يده جماعة من الصفاقسيين، وأخذ عنه: أبو عبد الله المازري، أبو الفضل النحوي، وأبو علي الكلاعي، وعبد الحميد الصفاقسي.[1]

انتقل إلى قلعة بني حماد بلدته الثانية التي أثرها على بقية المدن واستقر بها واشتهر بنسبته إليها، وفيها تتلمذ على يد شيخين بارزين هما:

ب-عبد الله المازري: هو أبو عبد الله محمد بن محمد الفرج المازري المعروف بالذكي، سكن قلعة بني حماد ثم رحل إلى المشرق ودخل العراق وسكن أصبهان إلى وفاته، فقيها فاضلا مدركا نبيلا متفوقا في علم المذهب واللسان في علوم القرآن[2]، سمي المازري نسبة إلى جزيرة مازر بصقلية[3]، أخذ بالقيروان عن السيوري والخرقي وغيرهما، قال السيوري أن ابن الفرج أحفظ مما رأيت فقيل له تقول هذا وقد رأيت أبي بكر ابن عبد الرحمن وأبا عمران الفاسي.

وكذلك قال ابن داود: شيخنا الذكي أفقه من أبي عمران ومن كل مالكي حتى فضله عن إسماعيل بن إسحاق القاضي، تفقه عنه في المغرب أبو الفضل النحوي والقاضي وأبو عبد الله داود، ألف في علوم القرآن كتاب "سماء الاستيلاء"، له تعاليق كبيرة في المذهب المحسن.[4]

---

[1] – شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (الذهبي)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 2003، ص 430.

[2] – عبد الرحمن أبو زيد بن محمد الأنصاري الأسدي (الدباغ)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيران**، تحقيق: محمد المضاوي، د.ط، ج3، المكتبة التونسية، تونس، د.ت، ص 2002.

[3] – شهاب الدين أحمد بن محمد المقري (التلمساني)، **أزهار الرياض في أخبر عياض**، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، د.ط، ج3، مطبعة لجنة للتأليف والتفسير، 1361هـ/1942م، ص ص 165-166.

[4] – موسى بن عياض (السبتي)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، د.ط، ج8، المكتبة المغربية، المغرب، 1403هـ/1983م، ص 101.

له تصانيف منها: (المعلم بفوائد كتاب المسلم، كتاب الإكمال، الإيضاح المحصول "المهدوي")، كان من أصحاب أبي الحسن اللّخمي.[1]

توفي رضي الله عنه سنة (ت536هـ/1141م) وله من العمر ثلاثة وثمانون سنة.[2]

ج-عبد الجليل الربعي المعرف بالديباجي (639-715هـ/1241-1315م): هو محمد بن أبي القاسم بن عبد السلام بن جميل أبو عبد الله الربعي[3]، التونسي المالكي، العلامة القاضي الأوحد المتفنن المعروف بشمس الدين، ولد بمدينة فاس، تولى القضاء بالإسكندرية، وفي سنة تسع وسبعمائة عزل ثم عاد إلى القاهرة، توفي في شهر صفر بالقاهرة وتدفن بالغرافة.[4]

قرأ بمدينة فارس وقلعة بني حماد ولقيه أبو عبد الله وسمع منه وحدث عنه أبو عبد الله ابن شبرين، وحدث عنه أبو عبد الله بن خليفة في كتاب التلخيص لأبي المعالي عن مؤلفه، وأخذ عنه أيضا أبو عبد الله ابن داود ابن عطية القلعي يوسف بن عيسى الملجوم وغيرهم.[5]

كان عالما بأصول الدين مدرسا له تصانيف منها: الكتاب المستوعب في الفقه، ومنها كتاب الاختصار اختصره من كتاب الانتصار لأبي بكر بن الطيب، وله رسالة في الاعتقادات سمع منه في رحلته أبو عبد الله بن أبي الخير المورووري بقلعة بني حماد.[6]

2-تلاميذ يوسف أبو الفضل النحوي: تعد المكانة العلمية التي اكتسبها يوسف أبو الفضل النحوي في كونه أستاذا مشهورا بالعلم والإصلاح، فقد طالت إقامته في قلعة بني حماد التي

---

[1] – أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب (ابن قنفذ)، **الوفيات (معجم زماني الصحابة والأعلام والمحدثين والفقهاء والمؤلفين من سنة 11-807هـ)**، تحقيق: عادل نويهض، ط4، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/1983م، ص277.

[2] – أحمد (ابن الضياف)، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس في عهد الأمان**، تحقيق: لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، د.ط، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1396هـ/1976م، ص 181.

[3] – محمود (محفوظ)، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ط1، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، د.ت، ص 338.

[4] – إبراهيم بن نور الدين (ابن فرحون)، **المصدر السابق**، ص 411.

[5] – أحمد بن القاضي (المكناسي)، **المصدر السابق**، ص387.

[6] – محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ابن الأبار)، **المصدر السابق**، ص 133.

استهوته في كونها حاضرة علم ودار مُلك الحماديين، ساهم من خلال نشاطه التعليمي ببناء مركزها الثقافي مما أدى إلى إقبال الطلبة عليها للاستفادة من علومه، والاجتماع حول حلقات دروسه في المساجد.

فقد تتلمذ على يده عدد من العلماء الذين كان لهم الدور في تعزيز مكانته وإبراز تمكنه العلمي، ومن أبرز أسماء الطلبة الذين أخذوا عنه:

2-1-أبو عمران موسى بن حماد الصنهاجي: يكنى أبا عمران من أهل العدوة، كان فقيها حافظا للرأي عالما بالمسائل والأحكام، مقدما في معرفتها، كان من جلّة القضاة في وقته، تولى القضاء في حاضرة مراكش[1]، اشتهر بالفضل والعدل في أحكامه، له رواية يسيرة عن أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد الأربي الطليطلي، وأبي الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي وأبي الربيع سليمان بن وليد وغيرهم، توفي في مراكش[2] سنة خمس وثلاثين وخمسمائة.[3]

[1] – أبي القاسم (ابن بشكوال)، **الصلة (في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم)**، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، مج2، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010، ص 251.

[2] – العباس بن إبراهيم (السملالي)، **الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام**، مراجعة: عبد الوهاب ابن منصور، ط2، ج7، المكتبة الملكية، الرباط، 1413هـ/1993م، ص 288.

[3] – الظبي، **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، تحقيق: إبراهيم الأنباري، ط1، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت–لبنان، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1410هـ/1989م، ص605.

2-2-أبو محمد عبد الله بن سليمان التاهرتي (ت553هـ/1158م): هو عبد الله بن منصور السلفي التاهرتي، أبو محمد، أديب محدث له شعر، من أهل تاهرت وينسب إلى الولجة، رحل إلى المشرق وسمع من جماعة فحدّث في بلده[1]، والولجة ناحية من المغرب من أعمال تاهرت نسب إليها السلفي أبا محمد عبد الله منصور التاهرتي، قال ياقوت كان من الفضلاء في الأدب والفقه له شعر كتب في الحديث كثيرا سنة 527هـ، عاد إلى المغرب إلى أن مات سنة 553هـ.[2]

قال السلفي: أن أبو الفضل النحوي قرأ النحو وأخذ عنه أبو محمد عبد الله بن سليمان بن منصور التاهرتي.[3]

2-3-أبو عبد الله محمد بن علي المعروف بابن الرمامة (478-567هـ/1085-1171م): محمد بن علي بن جعفر بن أحمد القيسي، أبو عبد الله المعروف بابن الرمامة، فقيه من القضاة له مشاركة في العلوم الفلسفية، وولد بلقعة بني حماد[4] في شهر رجب، وعاش بها في شبابه وتنقل بينها وبين بجاية والجزائر للدراسة والتحصيل، ثم رحل إلى الأندلس لطلب العلم وممارسة التجارة، والتقى بالفيلسوف الأندلسي الكبير وليد بن رشد وابن عتاب وابن بطريق، وأخذ عليهم جميعا[5]، تفقه على يد أبي الفضل النحوي، تولى القضاء بفاس فلم يحمد.[6]

---

[1] – عادل (نويهض)، **معجم أعلام الجزائر (من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر)**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت-لبنان، 1400هـ1980م، ص61.

[2] – ياقوت (الحموي)، **المصدر السابق**، ص383.

[3] – جلال الدين عبد الرحمن (السيوطي)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، ج2، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1299هـ/1989م، ص 362.

[4] – عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس (الكتاني)، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق: عبد الله الكياني وآخرون، د.ط، ج2، دار الثقافة، ص 134.

[5] – يحي (بوعزيز)، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1995، ص 33.

[6] – شمس الدين (الذهبي)، **المصدر السابق**، ص 381.

كان يميل إلى مذهب الشـافعية، له من التأليف كتاب تسـهيل المطلب في تحصـيل المذهب، وكتاب التقصـي عن فوائد التقصـي وكتاب التبين في شـرح التلقين، بذل همته في تحقيق كتاب "البسـيط للغزالي وتحرير مباحثه"، ومن أشـهر ما روي عنه الحافظ أبو ذر الخشني وأبو الحسن بن المفضل وأبو القاسم بن بغي.

وكان وفاته رحمه الله بمدينة فاس يوم الإثنين 11 رجب 567هـ الموافق لـ 16 مارس 1172م[1]، صـلى عليه القاضـي بها حينئذ أبو حفص بن عمر بوصـية منه بذلك إليه ودفن بمقبرة باب الجازيين، كان له حفل في جنازته عظيما والثناء عليه جميلا.[2]

ثانيا: الرحلات العلمية ليوسف أبو الفضل النحوي

تعتبر الرحلات[3] العلمية من السـمات البارزة في المغرب الأوسـط، إذ يعتبر تنقل العلماء ظاهرة ميّزت العالم الإسـلامي في العصـر الوسـيط[4]، لذا نجد أن علماء الجزائر الحمادية لم يخرج عن هذه القاعدة.

لذا يعد عصـر يوسـف أبو الفضـل النحوي من العصـور المشـرقة بالنسـبة للرحلة العلمية، إذ نجد أنه تأثر تأثير بليغ بعلماء عصـره، فقد سـعى إلى تحقيق مكاسـب علمية إذا قرر القيام برحلة علمية إلى مختلف حواضـر المغرب الإسـلامي نظرا لفائدتها كالالتقاء بالشـيوخ والاحتكاك بهم وأخذ العلم عنهم مباشـرة، وهذا ما أكده ابن خلدون في تبيان فضـل الرحلة من أجل طلب العلم بقوله: «...أن حصـول الملكات عن المباشـرة والتلقين أشـد استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها».[5]

---

[1] – عبد الرحمن محمد (الجيلالي)، **تاريخ الجزائر العام**، د.ط، ج1، منشـورات دار مكتبة الحياة، المكتبة الجزائرية، الجزائر، 1384هـ/1960هـ، ص 400.

[2] – محم بن محمد (ابن عبد الملك)، **المصدر السابق**، ص 327.

[3] – الرحلة في اللغة هي الارتحال والترحيل، فقيل رحل الرجل أي سار بمعنى السير في الأرض أي الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين ماديا أو معنويا، أنظر: محمد بن مكرم (ابن منظور)، **لسـان العرب**، د.ط، ج11، دار صـادر، بيرت، 1990، ص 276.

[4]– Houari Touati, **Islam et Voyage au moyen–âge**, paris, Seuril, 2000, p p 12, 15.

[5] – عبد الرحمن (ابن خلدون)، ج6، **المصدر السابق**، ص 478.

فقد كانت رحلة العلماء وطلاب العلم المغاربة رحلتان، إحداهما مغربية والأخرى مشرقية[1]، غرضها الأساسي هو التحصيل العلمي.

عرف ابن النحوي بالأسفار الكثيرة منها:

1-رحلة يوسف أبو الفضل النحوي المشرقية:

1-1-رحلته إلى الحجاز: قال مؤلف مذاق الضرب في سلوك أهل الأدب أن يوسف ابن النحوي توجه إلى مكة المكرّمة لأداء فريضة الحج، والاحتكاك بأهل العلم والأدب في الحجاز وغيرها من بلاد المشرق.[2]

حيث كان المشرق بالنسبة للمغاربة في هاته الفترة يمثل محطة علم وثقافة يتجهون من خلاله إلى الإسكندرية والقاهرة والقدس ومكة المكرمة والمدينة وبغداد وبلاد الشام، ومن جهة أخرى يمثل الغرض من الرحلة في أداء فريضة الحج.[3]

فقد حرص المغاربة على أداء مناسك الحج رغم مشقته ونظرا لبعد مسافة البقاع المقدسة، فبعد الفراغ من مناسك الحج باشروا في التجوال في بلاد الحجاز قصد لقاء العلماء والاحتكاك بهم بهدف تبادل المعارف، الأمر الذي سهل عملية الاتصال والعطاء والاطلاع المعرفي الحاصل في بقاع العالم الإسلامي.

تركت رحلة ابن النحوي المشرقية أثرا طيبا في نفسه، خاصة بلاد مصر التي نظم قصيدة تروي اشتياقه وحنينه إليها، قال:

أين مصر وأين سكان مصر؟ ∴ بيننا شقة النوى والبعاد.
حدثاني عن نيل مصر فإني ∴ منذ فارقته إلى الماء صاد.
والرياض التي على جانبه ∴ وجعلاه من الأحاديث زادي.
رقّ قلبي حتى لقد خلت ∴ أني بين أيادي الزوار والعوادي.

---

[1] – عمار (هلال)، **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (3-14هـ)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م، ص 60.

[2] – أحمد (بن محمد)، **المنفرجة لأبي الفضل يوسف ابن النحوي شرح أبي الحسن علي البصري**، تحقيق: أحمد بن محمد أبو رزاق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 06.

[3] – عمار (هلال)، **المرجع السابق**، ص 61.

ما تـــــراني أبكي على ربـــــع ∴ ما تراني أهـم من كـــــل وادي.[1]

2-رحلة يوســـــف أبو الفضـــــل النحوي المغربية: بعد الرحلة التي قام بها ابن النحوي إلى المشـرق الإسـلامي لأداء فريضـة الحج والاجتماع بعلماء المشـرق للاسـتفادة من علومهم، كانت عودته إلى المغرب (بلده توزر)، فلما انقطعت أخباره عن أهله أعواما اســـتغل والي توزر غيابه واعتدى على أملاكه فتوجه ابن النحوي إلى بلاد المغرب.

2-1-رحلته إلى المغرب الأوســـط (قلعة بني حماد): كانت قلعة بني حماد هي الوجهة الأولى التي زارها أبو الفضـل النحوي من بلاد المغرب الإسـلامي، لأن القلعة الحمادية مثلت محطـة علم وتثقيف يتجهون إليهـا من كل مكـان، فلمـا طرد ابن النحوي من فـاس توجـه إلى القلعة التي آثارها على بقية المدن واستقر بها واشتهر بنسبته إليها.

اسـتقبله أهلها بالترحيب والتعزيز، عرف الأمن والاسـتقرار فيها عطاؤه المعرفي فأحب أهلها وأحبوه.

اتخذ القلعة وطنا له لقربها من توزر، قال الناقوســـي ذاكرا صـــفاتها: «اســـتوطن القلعة...لأن قفريباب وبلقعة تراب وكان الذي كان فوق التراب تراب...كانت حاضـــرة أهل العلم وهو أحد أئمة الإسلام وأعلام الدين».[2]

---

[1] – عماد الدين (الأصفهاني)، **خريدة القصر وجريدة العصر**، قسم شعراء المغرب، تحقيق: المرزوقي والمطوي الجيلالي، ط1، ج1، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1966، ص 325.

[2] – عفاف (بوسعيدة)، **قصيدة المنفرجة لأبي الفضل النحوي**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، تخصص: أدب عربي، دراسة أسلوبية، قسم اللغة والآداب العربي، كلية الأدب واللغات، جامعة المسيلة، 2013-2014، ص 91.

رغب في القلعة لمحاســـنها العلمية، حيث اشـــتهر حماد بتقريب العلماء والأدباء مما أدى إلى تقاطر أهل العلم عليها باعتباره عالم وأحد قدماء طلبة القيروان.[1]

2-2-رحلته إلى المغرب الأقصـى (الرحلة إلى سـلجماسـة والرحلة إلى فاس): كانت رحلة أبو الفضل النحوي الثانية في المغرب بعد قلعة بني حماد هي الرحلة إلى سجلماسة.

أ-الرحلة إلى سـجلماسـة: ففي حوالي (493-494هـــ) غادر ابن النحوي قلعة بني حماد متوجها إلى سـجلماسـة، وسـط ظروف وأحداث مبهمة، كما أننا لا نعرف الأسـباب الحقيقية للرحلة، لأن الهدف هو الاطلاع ونشـر العلم، لم تدم إقامة ابن النحوي طويلا في سـجلماسـة لأنه سرعان ما اصطدم بأهلها، فما أنكره عليه أهل سجلماسة عند دخوله أراد النزول في دار قريبة من الحمام بعيدا عن المسجد فأنكروا عليه ذلك وسألوه فقال: خطايا إلى الحمام في حق بدني فأراد أن تكون قليلة، وخطايا إلى المسجد فيها أجر.

أما ما أنكره ابن النحوي على أهل المدينة أنه عند قدومه إلى المسـجد أراد أن يصـلي في موضـع فقيل له هذا موضـع فلاد، فجاء إلى موضـع آخر فقيل له كذلك، فقال ما ظننت أن يكون هذا في بيوت الله.[2]

نزل ابن النحوي بمسـجد ابن عبد الملك لتدريس أصـول الدين وأصـول الفقه، فمرّ عبد الله بن البسّام، وكان من رؤساء البلد فتضايق منه وقال له: أنه يريد أن يدخل علينا علوما لا نعرفها فأمر بإخراجه من المسـجد، فقام أبو الفضـل النحوي داعيا على ابن بسـام (أمت العلم أماتك الله هنا)[3]، استجاب الله له فيه.

---

[1] – محمد (الطمار)، **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، سلسلة الدراسات الكبرى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 93.

[2] – مبروك بن صـالح (قارة)، **أعلام المسـيلة وبني حماد في العصـر الوسـيط**، القسـم الثاني علماء بني حماد، ط2، دار علي بن زياد للطبع والنشر، الجزائر، 2013، ص 43.

[3] – رابح (بونار)، **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 186.

كانت عادة أهل البلد أن يعقدوا أنكحتهم بالمسجد، فحضر ابن بسام في اليوم الثاني فجلس بالمكان الذي دعا عليه فمرّت جماعة من صنهاجة وقتلوه بالرّماح.[1]

حاول ابن النحوي ممارسة نشاطه العلمي وهو تدريس مادة الأصول وعلم الكلام، إلا أنه اصطدم بما هو متعارف عليه بسجلماسة والسياسة التي فرضها الفقهاء المرابطون وهي الإجراء الخطير الذي فرضه أمير المرابطين[2] بإحراق كتاب الإحياء للغزالي، وهذا بإيعاز من طائفة الفقهاء.[3]

رحل ابن النحوي من مدينة سجلماسة التي لم يتوفر فيها المناخ العلمي المناسب لأداء رسالته فلجأ إلى مدينة فاس.

ب-الرحلة إلى فاس: كانت رحلة ابن النحوي الثالثة بعد سجلماسة إلى مدينة فاس للتقرّب من العلماء وتجميل مجلسه، حيث لازمه شيوخ وعلماء منهم أبو عمران موسى بن حماد الصنهاجي.

باشر ابن النحوي بالتدريس، فكانت أول محنة يتعرض لها هي حضر الفقهاء المرابطين للعلوم وهي علم الأصول وعلم الكلام والدعوة إلى الاجتهاد، فوقع صدام بينه وبين أهل فاس[4]، وما يجدر بنا الإشارة إليه أن ابن النحوي لم تدم إقامته طويلا إلى أن واجه محنة

---

[1] – محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي قاسم (الديسي)، **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة فونتانة الشرقية، الجزائر، 1234هـ/1906م، ص ص 193-194.

[2] – المرابطين، هي إحدى مدن المغرب الأوسط أسسها الرومان عندما كانوا منسوبين على الأندلس، تقع على شاطئ المحيط على بعد خمسين فرسخا من فاس إلى جهة الشمال، تحيط بها الأسوار متينة محصنة بخنادق وحصون، حيث عرف المرابطون باسم الملثمين، ينظر:

-Mahfoud (Khadach), **L'Algérie Médiévale**, Société National édition et diffusion, Alger, 1982, p 99.

مجهول، **مفاخر البربر**، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي فراق، الرباط، 2005، ص144.

[3] – ابن عذارى (المراكشي)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، حققه: إحسان عباس، د.ط، ج4، دار الثقافة، بيروت-لبنان، د.ت، ص 59؛ حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك ابن القطان (الكتامي)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق: محمود علي مكي، ط2، در الغرب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص 70.

[4] – مبروك بن صالح (قارة)، **المرجع الساق**، ص 45.

أخرى وهي أن ابن الدبوس[1] قاضي فاس أمر ابن النحوي بالخروج من المسجد بسبب تدريسه أصول الدين وأصول الفقه.

فقد روى ابن حرزهم أنه «لما عزم أبو الفضل على الخروج من فاس قطع الليلة التي خرج منها وفي صبيحتها بسجدة واحدة ودعا فقال: اللهم عليك بابن دبوس فأصبح هذا الأخير ميتا».[2]

قال ابن النحوي في مدينة فاس:

يا فاس منك جميع الحسن مسترق ∴ وساكنوك أصنهم بما رزقوا.

هذا نسميك أم روح لراحتنا ∴ وماؤك السلسل أم الورق.

أرض تخللها الأنهار داخلها ∴ حتى المجالس والأسواق والطرق.[3]

ومن هنا يبدو أن فقهاء فاس قد ضاقوا ذرعا بابن النحوي فاستبدلوا المواجهة الفكرية بالتهديد، وحين أحس ابن النحوي أن الأمور أصبحت تسير في غير ما يرون بمدينة فاس وأن حياته أصبحت محفوفة بالمخاطر قرر الرحيل متوجها إلى قلعة بني حماد.

ج-العودة إلى قلعة بني حماد: عاد يوسف أبو الفضل النحوي بعد الأسفار الكثيرة إلى قلعة بني حماد نظرا للأجواء المناخية المناسبة في القلعة كظهور علوم بديلة (الدراسات، علوم القرآن وتفسير الحديث)[4]، كما امتازت القلعة بالقضاء الذي يمارس في إطار المذهب السني[5] خلافا عن السياسة المرابطية.

---

[1] – ابن الدبوس: أبو محمد عبد الله بن الدبوس الشيخ الصالح إمام مسجد جامع القرويين من مدينة فاس المحروسة، كان مجاب الدعوة له كرامات كثيرة توفي بفاس، أنظر: عبد الكريم التميمي (الفاسي)، **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد**، تحقيق: محمد الشريف، ط1، جامعة عبد الملك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة الأطاريح الجامعية، تيطوان، 2002، ص 208.

[2] – أحمد (بن محمد)، **المرجع السابق**، ص 07.

[3] – رشيد (بورويبة)، **المرجع السابق**، ص 172.

[4] – محمد الشريف (سيدي موسى)، **مدينة بجاية الناصرية (دراسة في الحياة الفكرية والاجتماعية)**، تقديم: محمد الأمين بلغيث، د.ط، دار الكرم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 127.

[5] – محمد (الطمار)، **المرجع السابق**، ص 96.

أخذ ابن النحوي على تدريس القلعة فبرز تلميذه ابن الرمامة بكتابه "التذكير في علم أصـول الدين"، كما برز في فترته أحد أعلام المنطقة هو أبو علي حسـن بن علي بن محمد المسـيلي[1] الذي نعت بحامد الصـغير لتأليفه كتاب على منوال كتاب الإحياء سـماه "التفكير فيما تشـتمل عليه الصـور والآيات في المبادئ والغايات"، يعد أقدم الكتب الصـوفية في الجزائر.[2]

لذا تعتبر القلعة من أعظم المدن ضـخامة وحسـن بناء، فقد لجأ إليها العلماء والتجار كانت عاصـمة مهمة للدولة يحاربون وينتصـرون فيعودون إليها أو ينهزمون فيلجئون إليها[3]، بقي ابن النحوي في القلعة إلى أن توفي فيها.[4]

ثالثا: موقف يوسف أبو فضل النحوي من العلامة أبو حامد الغزالي (كتاب الإحياء)

1-الغزالي وإحياء علوم الدين: يعتبر الإمام أبو حامد الغزالي من الشـخصـيات المعروفة التي تركت تراث علمي متنوع، حيث ألف في العديد من الفنون (الفقه، التصـوف...) باشـر حياته بطلب العلم والتشـوق المعرفي من خلال قراءة كتب العلماء ومصـنفاتهم، مما أدى به إلى بلوغ درجة مصـاف العلماء وفي ريعان شـبابه، يقول الغزالي: «...وكانت التعطش إلى إدراك حقائق الأمور دأبي وديني من أول أمري، غريزة وفطرة من الله وضـعها في جبلة لا باختياري وحيلتي...».[5]

---

[1] – حسـن بن علي بن محمد المسـيلي أبو علي، يعود أصـله إلى مدينة المسـيلة، رحل إلى مدينة بجاية وتوفي بها سـنة 580هـ-1085م، كان فقيها مالكيا، حافظا متكلما، تولى القضاء في بجاية واهتم بالتدريس في مسجدها، ترك مؤلفات كثيرة "كالتذكرة في أصول الدين، النبراس في الرد منكر القياس، التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات والمبادئ والغايات"، اتبع منهج أبي حامد الغزالي في كتابه الإحياء، أنظر: أبو العباس أحمد (الغبريني)، **المصدر السابق**، ص66.

[2] – عمارة (علاوة)، **دراسـات في التاريخ الوسـيط للجزائر والغرب الإسـلامي**، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 112.

[3] – عبد الكريم (غلاب)، **قراءة جديـدة في تـاريخ المغرب العربي**، ط1، ج1، دار الغرب الإسـلامي، بيروت-لبنـان، 1426هـ/2005م، ص 397.

[4] – محمد بن محمد (ابن عبد الملك)، **المصدر السابق**، ص 435.

[5] – محمد بن محمد بن محمد (الغزالي)، **المنقذ من الضـلال (والموصـل إلى ذي العزة والجلال)**، تحقيق، جمال صـليب وكامل عياد، ط7، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1967، ص 63.

بدأ الإمام الغزالي بأصول الفقه (المنخول في الأصول)، ولما ألف الغزالي هذا الكتاب في شبابه قال له إمام الحرمين الجويني «دفنتني وأنا حي هلا صبرت حتى أموت، وأراد أن كتابك قد غطى على كتابي».[1]

ذكر السبكي في الطبقات الشافعية: أن الجويني يوما قال للغزالي: «يا فقيه فرأى في وجهه التغير، كأنه استقل هذه اللفظة على نفسه فقال له: ففتح مكانا وجدة مملوء بالكتب فقال له: ما قيل لي يا فقيه حتى أتيت على هذه الكتب كلها».[2]

قال الغزالي: «ثم إني ابتدأ بعلم الكلام فحصلته وعقلته، وطالعت كتب المحققين منهم، وصنف فيما أردت أن أصنف فصادفته علما وافيا بمقصوره غير وافي بمقصودي، وإنما المقصود منه حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة».[3]

فأول محاولة بدأ بها الغزالي بناء قواعد أساسية وأصول عامة لفهم أصول الفقه، لأن بها يمكن أن نفهم الفقه على حقيقته، وهذا ما نجده في كتاب (المنخول في الأصول) ولهذا يختلف هذا الكتاب عن كتابه الشعير "المستصفى في علم الأصول"، فالأول بدايته أصول الفقه والأخير نهاية أصول الفقه.[4]

يقول ابن خلدون: «...وجمع الغزالي رحمه الله بين أمرين، الفقه والتصوف، في كتاء الإحياء، فدون فيه أحكام الورع والاقتداء ثم بين أدب القوم وسننهم وشرح اصطلاحهم في عباراتهم وصار علم التصوف في ملة علما مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط».[5]

---

[1] – عبد الرحمن بن علي بن محمد (ابن الجوزي)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ط1، مج9، دار صادر، بيروت، 1358هـ، ص 168.

[2] – تاج الدين (ابن السبكي)، **المصدر السابق**، ص 185.

[3] – محمد بن محمد بن محمد (الغزالي)، **المصدر السابق**، ص 71.

[4] – عبد الرحمن (بدوي)، **موسوعة الفلسفة**، ط1، مج2، منشورا ذوي القربى، د.ب، 1427هـ، ص 85.

[5] – عبد الرحمن (ابن خلدون)، **المصدر السابق**، ص 369.

قال الغزالي: «...رأيت الانشغال بتحرير هذا الكتاب مهما، إحياء علوم الدين والكشف عن مناهج الأئمة المتقدمين، وإيضـــاحا لمباهي العلوم النافعة عن التبيين والســـلف الصالح...».[1]

كان كتاب إحياء علوم الدين من أعظم ما ألف في ذلك العصـــر، حيث كان الغزالي يملي منه على تلاميذه ومؤيديه، إذ يعد كتاب إحياء علوم الدين هو الكتاب الثامن والعشرين، حيث يحتاج هذا الكتاب إلى شرح وتفسير وتفصيل، فهو يتضمن عصارة عقلية الغزالي وكل ما توصـــل إليه بعد مشـــواه العلمي بعد أن درس وفصـــل وتأمل كل الأفكار والتعاليم والفرق العلمية التي عاصرها.

القسم الأول من إحياء علوم الدين كتب الغزالي عن المعرفة والعقائد الإسلامية.

القسم الثاني كتب عن العبادات، الصلاة، الزكاة.

القســـم الثالث يتناول الرذائل، وفي الجزء الأخير يكتب الفضـــائل التي تتجســـد في الصـــبر، التوبة، الورع، الرحمة، التقشـــف، الإخلاص، وقد بلغ مكانة عالية حتى قيل فيه «...لو التفت جميع الكتب التي ألفت عن الإســـلام وســـلم منها كتاب إحياء علوم الدين لاستعاض الناس به عن فقدانها».[2]

حيث أن الغزالي وضـع كتابه ليلفت أنظار المسـلمين إلى أصـول دينهم القويم مشـيرا إلى أن ما حل بالإسلام من انصراف أهله إلى شؤون الدنيا وإهمالهم الشعائر الدينية.[3]

---

[1] – محمد بن محمد بن محمد (الغزالي)، **إحياء علوم الدين**، ج1، د.ط، ص 03.

[2] – عز الدين (إسماعيل وآخرون)، **نوابغ العرب الخمس (أبو حامد الغزالي إمام العق وحجة الإسلام)**، د.ط، دار العودة، بيروت، 1987، ص ص 57–58.

[3] – حسـن إبراهيم (حسـن)، **تاريخ الإسـلام (السـياسـي والديني والثقافي والاجتماعي)**، ج4، ط14، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1416هـ–1997م، ص 503.

2-قضـــية إحراق كتاب إحياء علوم الدين: في أول عام ثلاث وخمســـمائة عزم علي بن يوسف بن تاشفين[1] عن إجماع قاض قرطبة أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين[2] وفقهائها على إحراق كتاب أبي حامد الغزالي رحمه الله الذي ســـماه (الإحياء)[3]، فأحرق على الباب الغربي من رحبة المســجد بجلوده بعد إشــباعه زيتا، وهذا بمحضــر جماعة من أعين الناس ووجه إلى جميع بلاده يأمر بإحراقه، وتولى الإحراق على ما اشـــترى منه ببلاد المغرب في ذلك.[4]

كان المذهب المالكي هو المذهب الرســـمي للدولة المرابطية، والذي كان قائما على مبدأ منع التأويل والتفســـير المتشـــابه مع الآيات القرآنية، لذا تم تحريم علم الكلام والاهتمام بكتب الفروع (الإمام مالك)، يعملوا بها ونبذوا سواها.[5]

حيث هدفت أعمال الفقهاء إلى محاربة كل ما هو خارج عن المذهب المالكي، الذي يعتبر المذهب الرسمي بحجة أسباب التفكك السياسي والعقدي الذي كان سائد في المغرب قبل تولي المرابطين.

أصبح الفقهاء هم رجال الدولة يخططون لسياستها ومسؤولية حمايتها، فقد أمسكوا الجانب الديني والسياسي للدولة المرابطية.

---

[1] – علي بن يوسف بن تاشفين، هو الأمير علي بن يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت بن ورتاقطين بن منصور بن مصالة بن أمية بن ورتملي بن تمليت الصنهاجي اللمتوني، كنيته أبو الحسن، ولد 476هـ/1083م، دخل غرناطة وباشرها، تولى في عهد المرابطين سنة 500هـ/1106م، توفي في 537هـ/1142م، أنظر، لسان الدين (ابن الخطيب)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج4، ط1، تحقيق، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977، ص 59.

[2] – محمد بن علي بن حمدين، هو أبو عبد الله بن علي بن حمدين التغلي، قاضي الجماعة بقرطبة، يكنى أبو عبد الله من أهل العلم حافظا، ذكيا، أديبا شاعرا، تولى القضاء في قرطبة 490هن توفي في 508هـ، انظر، أبي القاسم (ابن بشكوال)، **المصدر السابق**، ص 821.

[3] – حسن بن علي (ابن القطان)، **المصدر السابق**، ص 70.

[4] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **المصدر السابق**، ص 59.

[5] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **نفس المصدر**، ص 172.

كان أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين شديد التأثر بهؤلاء الفقهاء رغم اتصافه بالعدل والتدين والفضل، إلا أنه انجر وراءهم والتزم بأقوالهم وآرائهم الفقهية[1]، فاتبعه الفقهاء المرابطين، وهذا ما أدى به إلى اقتراف عمل شنيع وهو الأمر بإحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، فقد عرضت هذه الفتوى على أمير المسلمين علي بن يوسف ونالت استحسانه وموافقته عام (503هـ/1109م).[2]

كان للفقهاء تأثير واضح على شخصية الأمير، إذ أجبروه على إصدار أمر يقضي بحرق إحياء علوم الدين للغزالي، وكان هذا التأثير بارز في سقوط الدولة المرابطية كما عده أحد المؤرخين، إلا أن هذا الأمر لم يمر دون معارضة من قبل الفقهاء في المغرب والأندلس، إذ ناصروا الإمام الغزالي وكتابه الإحياء[3]، إلا أن هناك من عارض هذا الطرح وقال أن عملية إحراق الإحياء من أسباب انهيار أو بوادر الضعف الذي يصاحب الانهيار، وهذا بعيد كل البعد ولعله يذكر بما نقله المتصوفة من دعاء الغزالي على دولة المرابطين حينما وصله خبر إحراق الإحياء، حيث قال: «اللهم مزق ملكهم كما مزقوا كتابي هذا».[4]

أما المراكشي «...أن شيخا مسن من سكان فاس من أثبت في مدرسة أبي حامد فجاء رجل كث اللحية على رأسه كرزية صوف، دخل المدرسة وحياه بركعتين، ثم دخل إلى الشيخ أبي حامد فسلم عليه وقال: ممن الرجل؟ فقالوا من أهل المغرب الأقصى، فقال له: دخل قرطبة، فقال: نعم، فقال: فما فعل فقهائها؟ فقال له: (في خير) فقال: (هل انتهى إليهم كتاب الإحياء، فقال: فماذا قالوا فيه؟، فلزم الرجل الصمت حياء منه فعزم عليه ليقلن ما طرأ

---

[1] – أحمد (شلبي)، **التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، ج4، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1977، ص 183.

[2] – مجهول، **الحلل الموشية في الأخبار المراكشية**، تحقيق، سهيل زكار عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1979، ص 104.

[3] – أسامة عبد الحميد (حسين)، **فقهاء الدولة المرابطية وإحراق كتب علوم الدين للإمام الغزالي**، مج1، ع1، قسم التاريخ، كلية التربية، سامراء، جامعة تكريت، السنة الأولى 1436هـ/2005م، ص 91.

[4] – "دعوة الحق–لماذا أحرق الإحياء"، مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية والشؤون الثقافية والفكرية، ع 159، المملكة المغربية، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامي، 1957، ص02.

فأخبره بإحراقه والقصـــة التي جرت فتغير وجه أبي حامد ومد يده إلى الدعاء: (اللهم مزق ملكهم كما مزقوه وأذهب دعوتهم كما حرقوه)، فقام المهدي فقال: (أيها الإمام ادع الله تعالى أن يجعل ذلك على ذلك يدي) فتغافل عنه أبو حامد وبعد وقت إذا بشـيخ آخر على شـكل الأول فأخبره بالحرق فتغير ودعا بمثل دعائه الأول، فقال له المهدي: (علي يدي)، فقال له: على يديك، فقبل له الدعاء».[1]

يقول عنه ابن كثير: «...أنه مال في آخر عمره إلى سـماع الحديث ولتحفيظ الصحيحين...».[2]

وما زال الإمام الغزالي طيلة عمره المبارك عالما يهتدى به ينشر العلوم ويفتي ويؤلف ويرشد ويقارع المبتدعة من الفرق الضالة إلى أن توفاه الله بمسقط رأسه بمدينة طوس سنة 505هـ.[3]

3-موقف يوسـف أبو الفضـل النحوي من الإمام الغزالي وكتابه الإحياء: لما أفتى فقهاء المغرب بإحراق كتب الشيخ أبي حامد الغزالي رضي الله عنه، وأمر أمير المؤمنين علي بن يوسف بن تاشفين بحرقها، إلا أن أبو الفضل النحوي ناصر وأيد أبو حامد الغزالي رحمه الله.[4]

حيث أن عملية الإحراق هذه لم تمر دون معارضـة، فالمعارضـين كانوا أكثر عددا والأقوى نفوذا لعملية حرق الإحياء، كان يوسف أبو الفضل النحوي من أهم الشخصيات الصوفية التي ناصرت كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي.[5]

---

[1] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **المصدر السابق**، ص 59.

[2] – عماد الدين أبي الفداء إسماعيل (ابن كثير)، **البداية والنهاية**، ج7، د.ط، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت، ص 457.

[3] – محمد بن محمد (الغزالي)، **مناهج العابدين إلى جنة العالمين**، ط1، عنى به بوجمعة عبد القادر مكري، دار المناهج، بيروت-لبنان، 1427هـ/2006م، ص 23.

[4] – أحمد بن خالد أبو العباس (الناصري)، **المصدر السابق**، ص 68.

[5] – محمد بن عبد الله ابن الأبار (القضاعي)، **المعجم في أصحاب القاضي الصدفي**، تحقيق، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1988، ص 278.

فقد كتب ابن النحوي لأمير المسلمين علي بن يوسف بشأن معارضته لمطاردة هذا الكتاب، فقد كان ابن النحوي قد أفتى بالإيمان التي فرضت أثناء عملية التفتيش عن كتاب الإحياء إيمانا لا تلزم أصحابها، وقال ابن النحوي عن الإحياء: «ودت أني لم أنظر في عمري سواء كتاب الإحياء»، فاستنسخه ابن النحوي في ثلاثين جزءا فإذا دخل رمضان قرأ في كل يوم جزء.[1]

وهنا نلاحظ أن ابن النحوي قد رفع من قيمة كتاب الإحياء وربط قراءته بالشهر المبارك، حيث قطع رمضان بمطالعته وأفتى لمن أكره على اليمين أن الإحياء ليس عنده في الزمان الذي أمر بجمعه وإحراقه «أنا لا أخشى عليه وانتصر للغزالي وسمع بذلك فصره وشكره على ذلك وشرف أخوه فهيأ له الغزالي ظنا منه أنه أبو الفضل النحوي»، توفي رحمه الله بموضعه في قلعة بني حماد.[2]

وينسب لابن النحوي في الغزالي وإحيائه:

أبو حامد أحيا من الدين علمه ∴ وجدد منه ما تقدم من عهده.

ورفقه الرحمن فما أتى به ∴ وألهمه فيما أراد إلى الرشد.

فصلها تفصيلها فأنا بها ∴ فجاءت كأمثال النجوم التي تهدى.[3]

يقول يوسف القرضاوي: «أن الإمام الغزالي كان مجددا للدين ومحي له، حيث كان الغزالي يشعر في أعماقه أن الأقدار العليا أناضت به مهمة تجديد الدين وإحياؤه على رأس المكانة السابقة».[4]

---

[1] – أحمد باب (التنبكتي)، **المصدر السابق**، ص 624.

[2] – أحمد بن يحي أبي العباس (الونشريسي)، **المنهج الفائق والمنهل الرائق والمنعى اللائق بأدب الموثق وأحاكم الوثائق**، ج1، ط1، تحقيق، عبد الرحمن بن حمود بن عبد الرحمن، سلسلة الدراسات الفقهية، دار البحوث والدراسات الإسلامية، الإمارات، 1426هـ/2005م، ص 658.

[3] – الطاهر (المعموري)، **الغزالي وعلماء المغرب**، الدار التونسية للنشر، نهج باب الخضراء، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، شارع زيغود يوسف، الجزائر، 1990، ص ص 22–23.

[4] – يوسف (القرضاوي)، **الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه**، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994، ص 77.

كان كتاب إحياء علوم الدين للغزالي من أهم المصادر الصوفية التي عرفها متصوفة الغرب الإســـلامي، وقد جلبه كل من ابن العربي وميمون بن ياســـين المغربي إلى مراكش[1]، وهذا بعد عودته من الحج سنة 497هـــ/1104م[2]، ومما يؤكد رواجه وتداوله أنه وجد ببلاد المغرب معروض للبيع، حتى أن بعضهم كتبه بماء الذهب.

كما أن تأثير فكر أبي حامد الغزالي على الحياة الدينية ببلاد المغرب كان واضـــحا، حيث تبنته العديد من الوجوه الفقهية كابن النحوي، وهذا ما جعل أتباع الحركة الموحدية يروجون لفكرة لقاء زعيمهم ابن تومرت مع أبي حامد الغزالي خلال رحلته المشرقية.[3]

والأصح أن كتاب الإحياء قد أضرمت فيه النيران سنة 507هـــ، وهو بشهادة ابن القطان فهذا يقتضي أن واقعة الحرق قد جرت بعد وفاة أبي حامد الغزالي بسنتين، ومن ثمة فإن لقاء ابن تومرت بالشيخ يصبح موضع شك كبير، فإذا كان ابن تومرت قد اتصل بالشيخ الغزالي فلا بد أن يكون اللقاء قد جرى فيما بين سنتي 500-505هـ.[4]

رابعا: مؤلفات يوسف أبو الفضل النحوي (قصيدة المنفرجة)

إن الحديث عن تطور الحركة العلمية في الفترة التي كان فيها يوســـف أبو الفضـــل النحوي تعد من مظاهر الاهتمام بالجانب العلمي خاصة الديني، فقد وجه العلماء عناية كبيرة للغة والنحو والمنطق والشـــعر وغيرها، فأقبل علماء المغرب الإســـلامي بالتأليف في جميع الميادين.

---

[1] – محمد (المتوني)، **إحياء علوم الدين في منظور الغرب الإسلامي أيام المرابطين والموحدين (أبو حامد الغزالي) دراسة في فكره وعصر وتأثيره**، سلسلة الندوات والمناظرات، رقم 9، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1988، ص 126.

[2] – محمد (رضا)، **أبو حامد الغزالي (حياته وآراءه ومصنفاته)**، مطبعة الوفد، مصدر 1343، 1924م، ص 30.

[3] – أبو بكر علي الصنهاجي (البيذق)، **أخبار المهدي بن تومرت**، ترجمة، ليفي بروفنسال، المكتبة الشرقية، بول قوتنار، باريس، 1928، ص 164.

[4] – خالد (الســـعيد)، **حرق الكتب (تاريخ إتلاف الكتب والمكتبات)**، ط1، دار الأثر للنشـــر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1439هـ/2018م، ص 58.

ساهم يوسف أبو الفضل النحوي علماء عصره في تأليفه لقصيدة المنفرجة التي تعتبر مظهر من مظاهر الاهتمام بالجانب الديني والاجتماعي والثقافي.

1-قصيدة المنفرجة: كان لابن النحوي مشاركة شعرية تتجسد في قصيدة المنفرجة المشهورة، والتي عالجت مواضيع متعددة[1]، يدل شعره على ذوقه الرفيع والحسن البلاغي ودقة التصوير للمعاناة التي عاشها.

2-الظرف التاريخي لقصيدة المنفرجة: أنشد أبو الفضل قصيدة المنفرجة عندما نزلت به شدة، فعند ذهابه إلى المشرق وبقائه فيها طويلا وانقطاع أخباره استغل والي توزر غيابه فتملك أرباعه اغتصابا، وعندما علم الشاعر بما حصل في غيابه توجه إلى قلعة بني حماد وأقام في مسجدها.

نظم القصيدة وابتهل بها إلى الله ﷻ بعد أن نادى إليه متضرعا في تهجده بقوله:

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا ∴ فقمت أشكوا إلى مولاي ما أجد.

وقلت يا سيدي يا منمي أملي ∴ يا من عليه بكشف الضرّ أعتمد.

أشكوا إليك أمورا أن تعلمها ∴ مالي على حملها صبر ولا جلد.

وقد مددت يدي بالضر مشتكيا ∴ إليك يا خير مددت إليه يدي.[2]

فرأى الوالي رؤية أفزعته وقام مذعورا، فكف عن ظلمه معترفا بذنبه وكتب له بإعادة أملاكه لأنه رأى في منامه النبي ﷺ وهو يقول له: «ابعث لي أبي الفضل في المسجد بكذا في الجزائر من يأتيك به ويقضي مأربه ففعل الخليفة وأرسل في طلبه مات حاجتك يا أبا الفضل فلما حضر بين يديه فقال له وأخبره بنظم قصيدة المنفرجة».[3]

---

[1] – إسماعيل باشا (البغدادي)، **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، د.ط، ج2، وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، إسطنبول، 1900، ص 551.

[2] – سعاد (غيابة)، **الإيقاع في قصيدة المنفرجة**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغات العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2012-2013، ص 27.

[3] – مبروك بن صالح (قارة)، **المرجع السابق**، ص 47.

قال شمس الدين الألجي: «سبب إنشاء هذه القصيدة أنه أصابته شدة هالت فانقلبت خير وزالت وأضحى الحال أحسن مما كانت بسبب الرؤية الفضيحة رآها الباغي عليه كفت يده العادية فرأى في منامه فارس يحمل عليه بيده حربة من نار فانتابه مذعورا فتعوذ ثم نام فرأى كذلك حتى قال له: إنما يتعوذ من الشيطان وأنا ملك للعبد الصالح».[1]

فالقصيدة المسماة بالمنفرجة من نظم الإمام العارف بالله أبا الفضل يوسف بن النحوي لما احتوته من حكم وفوائد ومواعظ اشـــتهر عند العلماء أرباب القلوب أنهم إذا ضـــاق بهم الحال قرأوها تنفرج عنهم الكروب.[2]

3-نسب المنفرجة لأبي الفضل النحوي وتضارب آراء العلماء حولها:

3-1-ناظمها: هو يوســـف بن محمد بن يوســـف القيرواني، من قلعة بني حماد توزري الأصل، ومما شارع من نظم أبي الفضل القصيدة المسماة: أم الفرج التي مطلعها:

اشتدي أزمة تنفجري ∴ قد أذن ليلك بالبلج.

[1] - أحمد (بن محمد)، **المرجع السابق**، ص 90.

[2] - أحمد (بن محمد)، **نفس المرجع**، ص 17.

وهي قصيدة مشهورة كثيرة الوجود بأيادي الناس ولم يزال يتواصلون بحفظها.[1]

3-2-من العلماء الذين أيدوا نسب المنفرجة لأبي الفضل النحوي: حاجي خليفة (ت 1067-1167م): «قصيدة المنفرجة لأبي الفضل يوسف بن محمد التوزري المعروف بابن النحوي المتوفي في 513هـ»[2]، وقيل نسبة لأبي حسن يحي بن العطار القرشي، لكن القول الأول أرجح.[3]

كما أن حاجي خليفة قد قدّرت عدد أبيات قصيدة المنفجرة بحوالي خمسة وثلاثون بيتا، وقد اتبعها في هذا يوسف سركيس إذ قال عنها...وهي خمسة وثلاثون بيتا مطلعها:

اشتدي أزمة تنفرجي ∴ قد أذن ليلك بالبلج.[4]

3-3-من العلماء الذين شككوا في نسب المنفرجة لأبي الفضل النحوي: الشيخ زكريا الأنصاري في شرحه "الأضواء الباهجة في إبراز دقائق المنفرجة" قال: «...والصلاة والسلام على سيد الأنام، وعلى آله وصبحه الكرام...فهذا ما اشتدت إليه حاجة المتفهمين للمنفرجة قصيدة الإمام الحبر، البحر، الفهامة العارف بالله تعالى الرباني أبي الفضل يوسف بن محمد بن يوسف توزري الأصل المعروف بابن النحوي على ما قاله العلامة أبو العباس أحمد بن أبي زيد البجائي شارحها أو أبي عبد الله أحمد إبراهيم الأندلسي القرشي على العلامة تاج الدين السبكي في طبقاته مع نقله الأول عن شارحها المذكور عن أبي عبد الله محمد بن علي التوزري».[5]

---

[1] – أبي عبد الله محمد بن محمد (عبد الملك)، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق: محمد بن شريفة، القسم الأول، السفر الثامن، مطبوعات الأكاديمية للمملكة المغربية، 1984، ص436.

[2] – محمد نوري (عباس)، "**شرح قصيدة المنفرجة للإمام أبي الحسن علي بن يوسف البصوري المتوفي (ت905هـ)**"، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج 20، ع 07، تموز 2013، ص ص 67-154.

[3] – مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي (القسطنطيني)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج2، مكتبة المثنى، بغداد، 1941، ص 1346.

[4] – يوسف أليان (سركيس)، **معجم المطبوعات العربية والمعرّبة (وهو شامل لأسماء الكتب في الأقطار الشرقية والغربية مع ذكر أسماء مؤلفيها ولمن ترجمتهم وذلك يوم ظهور الطباعة إلى نهاية السنة الهجرية 1339هـ الموافقة لسنة 1919م)**، د.ط، ج1، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، د.ت، ص ص 267-268.

[5] – زكريا (الأنصاري)، **الأضواء الباهجة في إبراز دقائق المنفرجة**، ص ص 2-3.

صاحب طبقات الشافعية الكبرى تاج الدين السبكي يذكر أن هناك من نسبها إلى ابن النحوي، إلا أن نسبها إلى عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الأندلسي القرشي... (من كبار العارفين، صاحب القصيدة المسماة بالفرج بعد الشدة التي مطلعها:

اشتدي أزمة تنفرجي ∴ قد أذن ليلك بالبلج).

كما قال: رأيت في كتاب العرّة اللائحة لأبي عبد الله بن علي التوزري المعروف بابن المصري أن هذه القصيدة لأبي الفضل بن محمد ابن النحوي التوزري.[1]

3-4-من العلماء الذين أبطلوا نسب المنفرجة لابن النحوي: ينسبها بعضهم إلى أبي حامد الغزالي[2]، كما ينسبها آخرون لأبي عبد الله محمود بن أحمد بن إبراهيم الأندلسي القرشي (ت590هـ/1124م)، منهم السبكي في طبقاته الشافعية.

ومن هنا يظهر أن كارل بروكلمان نسبها إلى أبي حامد الغزالي[3]، حيث توجد قصيدتنا كل منهما تسمى المنفرجة، الأولى لأبي حامد الغزالي والتي مطلعها:

الشدّة أودت بالمهج ∴ يا رب فاجعل بالفرج.

والأنفس أفصحت في حرج ∴ وبيدك تفريج بالعرج.

---

[1] – عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (السبكي)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، د.ط، ج8، دار الإحياء للكتب العربية، د.ت، ص ص 56-60.

[2] – أبي حامد الغزالي: هو محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، أبو حامد الغزالي الشافعي، حجة الإسلام ومحجة الدين، نصر الإسلام، من الفلاسفة الطبيعيين، وولد بطوس سنة 540هـ، كان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه، نشأ في عصر المدارس الإسلامية والمجالس الجدلية، من مؤلفاته: كتاب البسيط، كتاب المستصفى، كتاب سر العالمين وكشف ما في الدارين، انظر: العباس بن أحمد (السملالي)، **المصدر السابق**، ص 33.

[3] – كارل (بروكلمان)، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة: السيد يعقوب، ط2، ج5، دار المعارف، كونيش النيل، القاهرة، 1119، ص ص 109-110.

هاجت لدعاك خواطرنا ∴ والويل لها إن لم تهج.[1]

3-5-من العلماء الذين عارضوا قصيدة المنفرجة: «...وقد عمل يوسف بن محمد الأنصاري الذي عرف بابن النحوي لفظ هذا الحديث قصيدة الفرج البديعة في معناها، وقد شرحها بعض المغاربة في مجلد حافل ولخص منه غير واحد من المعاصرين شرحا وعارضها هو الأديب الجليل أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن محمد بن أبي قاسم التجاني، ولكن إنما ابتدأها بقوله:

لابد لضيق من فرج ∴ بخواطر علمك لا تهج».[2]

4-تعدد مسميات قصيدة المنفرجة:

4-1-سميت قصيدة المنفرجة: (...القصيدة المشهورة بالمنفرجة هي التي قالها يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي، وقد سميت كذلك لوقوع الانفراج بها، كما قيل عنها أو لاحتوائها على كلمة تنفرج في مطلعها، وهي من القصائد التي تجمع بين الأدب والتصوف)[3]، حيث يذكر السخاوي عن تلميذه محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المكي بقوله: «...قرأ على قصيدة المنفرجة وسمع على غيرها».[4]

---

[1] – عبد الرحمن (بدوي)، **مؤلفات الغزالي**، ط2، وكالة المطبوعات، شارع فهم سالم، الكويت، 1977، ص 296.

[2] – محمد بن عبد الرحمن شمس الدين (السخاوي)، **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، صححه وعلق على حواشيه: عبد الله محمد الصديق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1399هـ/1979م، ص 59.

[3] – أبو القاسم (سعد الله)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1998، ص 89.

[4] – محمد بن عبد الرحمن شمس الدين (السخاوي)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، د.ط، ج6، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص 318.

4-2-القصـــيدة النحوية: (...على صـــاحبنا أبي عبد الله تخميس أبي عبد الله المصـــري لقصيدة الشيخ، الفقيه، العالم، الصالح، الأوحد: أبي الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي، وقد سماه عجالة الروية في تصميط القصيدة النحوية).[1]

4-3-قصـيدة أم الفرج: (...قال عنها عبد الملك المراكشـي: «...مما شـاع من نظم أبي الفضـل قصـيدة أم الفرج والتي مطلعها اشـتدي أزمة تنفرجي، وهي قصـيدة مشـهورة، كثيرة الوجود بأيادي الناس ولم يزال يتواصـلون بحفظها» (...وهي قصـيدة تسـمى أم الفرج أنشـدها رحمه الله عند الشدة)).[2]

4-4-قصـيدة تسـيير الأرب وتفريج الكرب: قال شـمس الدين الألجي: «وسـبب إنشـاء هذه القصيدة أنه أصابته الشدة...سماها الناظم: تسيير الأرب وتفريج الكرب».[3]

4-5-قصـيدة الفرج بعد الشـدة[4]: قال ابن حمادوش: «وهي قصـيدة الفرج وهي المسـماة بالمنفرجة».[5]

خامسا: عناية علماء الإسلام بقصيدة المنفرجة

حظيت قصـــيدة المنفرجة بعناية واســـعة في المشـــرق والمغرب، وهي تقع في ثماني وأربعين بيتا نظما يوسف أبو الفضل النحوي فشرحت شروحا كثيرة.

1- الشيخ عبد الرحمن حسن المقابري الشافعي (ت 561هـ): سمى شرحه الأنوار الباهجة في ظهور كنوز المنفرجة.

2- السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن علي الكافي صاحب طبقات الشافعية.

---

[1] – محمد ابن عبد الملك، **المصدر السابق**، ص 436.

[2] – محمد بن محمد بن سعود (العبدري)، **رحلة محمد العبدري**، موقع مخطوطات الأزهر الشريف، ص 27.

[3] – أحمد بن أحمد بن محمد، **المرجع السابق**، ص 09.

[4] – السبكي، **المصدر السابق**، ص 56.

[5] – عبد الرزاق (بن حمادوش)، **رحلة ابن حمادوش المسماة لسان المقال في النبإ والحسب والحال**، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، د.ط، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 296.

3- أبو العباس أحمد أبي زيد الناقوســـي[1]، وقال منوها بنظامها في مقدمة الشـــرح «وشهدت له بهذه القصيدة بجودة الشعر وإتقانه واستعمال أساليب البلاغة بلا تكلف بل بمقتضـى السليفة وجودة الطبع ويعد شرحه من أهم شروح المنفرجة لأنه احتوى من العلوم والحكم والآداب الشرعية لذلك عمد البصـروي[2] إلى هذا الشرح وانتهى منه ما يوضح معنى أبيات القصيدة تفاؤلا باسمها».

4- أبو عبد الله محمد بن عمر الهواري الوهراني.

5- شمس الدين محمد بن عبد المنعم الجوجري القموي (ت889هـ).

6- أبو الحسن علاء الدين علي بن يوسف الدمشقي المشهور بالبصروي، سمى شرحه سرير المنزعجة لشرح قصيدة المنفرجة.[3]

7- أبو يحي زكريا بن محمد أحمد الأنصاري المصري (ت926هـــ) وسمى شرحه الأضواء الباهجة في دقائق المنفرجة.

8- شمس الدين محمد بن محمد الدلجي (ت947هـــ) وسمى شرحه اللوامع اللهجة بأسرار المنفرجة.

9- مؤلف مجهول مذاق الضرب في سلوك أهل الأدب.[4]

10- شرحها بالتركية إسماعيل بن أحمد الأنقوري (ت1042هـــ)، وقد سمى شرحه الحكم المندرجة من شـــرح المنفرجة، وترجمها بالفارســـية حســـين بن أســـعد الدهستاني المؤيدي.[5]

---

[1] – الناقوسي: هو أبو زيد أحمد عبد الرحمن أبو زيد الناقوسي الذي من مؤلفاته شرح قصيدة المنفرجة (الأنوار المنبلجة في بسط أسرار المنفجرة)، ويعد شرحه من أهم شروح قصيدة المنفرجة لأنه احتوى من العلوم والحكم والآداب، نسبة إلى ناقوس وهي مدينة عرفت في التاريخ الجزائري كثيرة الأنهار والثمار والمزارع، أنظر: البكري، **المصدر السابق**، ص 711.

[2] – البصروي: هو أبو حسن علاء الدين علي بن يوسف علي بن أحمد البصروي الدمشقي، نسبة إلى بصرة بضم الباء المنقوطة وسكون الصاد وفتح الراء، وهي إحدى قرى الشام، أنظر: محمد بن محمد بن عبد الرزاق (الزبيدي)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، د.ط، ج10، دار الهداية، د.ت، ص 204.

[3] – أحمد بن محمد، **المرجع السابق**، ص11.

[4] – أحمد بن محمد، **نفس المرجع**، ص 09.

[5] – كارل (بروكلمان)، **المصدر السابق**، ص 111.

-التخميسات[1]:

1- ابن النعيم القرطبي: أبو محمد عبد الله بن نعيم الحضرمي (ت 636هـ/1238م).[2]

2- ابن مليك: هو علاء الدين بن محمد.[3]

-التضمينات[4]:

1- أبو الفضل محمد بن أحمد بن أيوب الدمشقي سمى تضمينه" التحفة الباهجة في تضمين قصيدة المنفرجة.[5]

- التقليدات[6]:

1- عبد الغني إسماعيل بن عبد الغني النابلسي الدمشقي، بدأ قوله:

---

[1] – التخميسات، مصدر خمس وفي الشعر هو أن يضيف الشاعر إلى البيت من شعر غيره ثلاثة أسطر فيصبح عدد الأسطر خمسة، متاح على الموقع الإلكتروني: www.almaany.com تاريخ الاطلاع: 2019/05/20، على الساعة: 21.22.

[2] – عبد الله بن نعيم الحضرمي: نشأ بتونس، توفي بقسنطينة عام 636هـ، أحد الأشياخ المنصتين للدرس والرواية، قرأ عليه الناس وسمعوا منه، منهم أبو عبد الله التميمي وغيره، أنظر: أبو العباس أحمد بن محمد (الغبريني)، **المصدر السابق**، ص ص 152-153.

[3] – حاجي (خليفة)، **المصدر السابق**، ص 1346.

[4] – التضمينات، مصدر ضمن وتضمين الخطبة بأحاديث نبوية أي إدراج أحاديث نبوية فيها، والتضمين في النحو أن يتضمن لفظ معنى في معنى آخر، أي إيقاع لفظ موقع غيره، ومعاملته معاملته لتضمينه واشتماله عليه. متاح على الموقع الإلكتروني: www.almaany.com تاريخ الاطلاع: 2019/05/20، على الساعة: 21.22.

[5] – حاجي (خليفة)، **المصدر السابق**، ص 1947.

[6] – التقليدات، جمع تقليد وقلد فلان أي تبعه فيما يقول أو يفعل من غير تأمل ولا دليل، متاح على الموقع الإلكتروني: www.almaany.com تاريخ الاطلاع: 2019/05/20، على الساعة: 21.22.

ما الشدة إلا للفرج ∴ وستأتي أنواع الفرج.[1]

2-مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الدمشقي، الشهير بالقطب البكري، سمى تقليده "العقد بالحجة على قصيدة المنفرجة".[2]

-شرح المنفرجة بمنظور إسلامي:

القصيدة المسماة بالمنفرجة تحوي العديد من الحكم والفوائد والمواعظ، كتبها أبو الفضل النحوي عندما نزلت به الشدائد، وقد اشتهرت بين العلماء إذ ضاق بهم الحال قرأوها لتفرج عنهم الكروب، وما يدل على قيمتها وأهميتها هي الآيات والأحاديث التي لها نفس المدلول والمسار للقصيدة.

-القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝**﴾.[5]

-السنة النبوية:

قال رجل للنبي ﷺ: «أوصني فقال: لا تتهم الله في أمرا قضاه عليك».[6]

---

[1] – إسماعيل بن محمد الجراحي (العجلوني)، **كشف الخفاء ومزيل الألباس "عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس"**، تحقيق: يوسف بن محمود الحاج أحمد، د.ط، ج1، مكتبة العلم الحديث، د.ت، ص 151.

[2] – إسماعيل باشا (البغدادي)، **المصدر السابق**، ص ص 448-450.

[3] –القرآن الكريم، سورة الطلاق، الآية 07.

[4] – القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية 28.

[5] – القرآن الكريم، سورة الشرح، الآية 05.

[6] – أحمد بن الحسين أبي بكر (البيهقي)ن **شعب الإيمان**، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، الباب السابع، رقم 10126، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ، ص 232.

وروى الشيخان عن أبي هريرة وأبي سعيد الحذري أنهما سمعا الرسول ﷺ يقول: «ما يصيب المؤمن من وصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلاّ كفّر الله به من سيئاته».[1]

قال ﷺ: «ما من مسلم يصيبه أذى مرض فما سواه إلا حطّ الله بسيئاته كما تحط الشجرة ورقها».[2]

[1] – محمد بن إسماعيل أبي عبد الله (البخاري)، **صحيح البخاري (الجامع الصحيح)**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، الباب الخامس، رقم 5318، ط3، دار ابن كثير، بيروت، 1987، ص 2137.

[2] – **نفسه**، الباب الخامس، رقم 5336، ص 2143.

خلاصة:

وكخلاصـــة للفصـــل الأول يمكننا القول أن الصـــدى المعرفي لابن النحوي ومكانته العلمية تجاوزت انتمائه الجغرافي وجعلت منه أحد أعلام المغرب، لعل هذا ما أهله لتبوء مكانة بين أعلام القرن الخامس والســـادس الهجريين الذين رســـموا المشـــهد العام للحركية الثقافية، فالجو العلمي الذي ميّز المغرب الأوســـط من ازدهار الحركة العلمية والفكرية بقلعة بني حماد جعل منها حاضـرة علمية ممتازة، ومن هنا تمكن أبي الفضـل من تحصـيل علومه ومعارفه على يد كبار شـيوخها وأعلامها الواردين إليها، كما لم يبخل ابن النحوي بنشـر علمه وثقافته وخير دليل على ذلك هو توليه منصب المدرس وتفقه طلابه وتلاميذه.

وتعتبر الإرهاصـات الأولى التي سـاهمت في تكوين الشـخصـية العلمية لابن النحوي هي الرحلة العلمية التي قام بها والتي وفرت له الاحتكاك بالشـيوخ والعلماء والأخذ عنهم، كان للفقهاء أثر على شخصية أمير المسلمين علي بن يوسف، فقد أملوا عليه قرارات خطيرة على المسـتوى الديني لا سـيما إحراق كتاب إحياء علوم الدين، إلا أن يوسـف أبو الفضـل النحوي عارض الفقهاء وســـاند أبي حامد الغزالي ورفع من قيمة كتاب الإحياء، لذا يعتبر تأليفه لقصـيدة المنفرجة من أهم ما ألف لتميزها بالجميع بين الأدب والتصـوف، حيث بدأها ناظمها بالتوسـل إلى الله ﷻ بأن يفرج همه وختم بالصـلاة على النبي ﷺ والثناء عليه وعلى أصـحابه الكرام، وهي قصيدة تفيض بالحكمة والموعظة الحسنة.

فمن خلال هذا الفصل نحاول تسليط الضوء على ابن النحوي كشخصية علمية فاعلية مؤثرة في التاريخ الثقافي الجزائري له حضـور في المدونة المعرفية المغربية، وهذا ما تجسـد في نبوغه في أصـول الدين والفقه والحسـن الأدبي الرفيع، إضـافة إلى احتلاله مكانة صـوفية مرموقة.

الفصل الثاني

المكانة الروحية ليوسف أبو الفضل النحوي في المغرب الإسلامي

أولا: مفهوم التصوف

ثانيا: طرق انتشار التصوف في المغرب الأوسط

ثالثا: أهم المتصوفة المعاصرين ليوسف أبو الفضل النحوي

رابعا: دور المتصوفة في الحياة الثقافية

خامسا: الكرامات الصوفية عند يوسف أبو الفضل النحوي

تمهيد:

وسأحاول في هذا الفصل التركيز على شخصية أبو الفضل النحوي باعتباره عالما صوفيا، كما سأبرز طرق انتشار التصوف في المغرب الأوسط والمتمثلة في نزعة الزهد والرباطات والمؤلفات الصوفية، كما سأسلط الضوء على أقطاب التصوف الذين عاصروا يوسف أبو الفضل النحوي فكريا وثقافيا من خلال التأثير المذهبي والفكري، بالإضافة إلى دورهم المهم في الحياة الثقافية والذي برز من خلال الزوايا والتعليم، بالإضافة إلى الكرامات الصوفية عند أبو الفضل النحوي والتي تعتبر النقطة الجوهرية في فصلنا هذا.

أولا: مفهوم التصوف.

كان لعلم التصــوف في المغرب الإســلامي مكانة كبيرة مقارنة مع بقية العلوم، وخير دليل على هذه الأهمية هو انتشــاره في المغرب الأوســط، واهتمام العلماء والمؤرخين بماهيته فاعتبر من العلوم الشرعية الحادثة في الإسلام[1]، فمصطلح الصوفية أو التصوف هو اللفظ المســتخدم في الروحانيات للإســلام، كما يوصــف بأنه أكبر تيار روحي يســري في الأديان جميعها بمعنى الحكمة والنور، كما أن هناك جماعة ترى بأنهم ســـميو بهذا الاســـم لأنهم يلبسون الصوف، وقالت طائفة سميو الصوفية لأنهم في الصف الأول، وقالت طائفة أخرى سميو كذلك لأنهم يتولون أصحاب الصفة، وإن اسمهم مشتق من الصفا.[2]

فطائفة الصــوفية لو تنزهت عن الفردانية والشــخصــية لنزههم الله عن التســمية تنزيها مطلقا، ولكن لما شـــاءت الفردانية أعمال بعضـــهم وضـــع لهم اســـم واندرجوا تحت عنوان الصوفية[3]، أما أبو بكر الكلاذبي فقال إنهم سميو كذلك لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم إليه وإقبالهم بقبولهم عليه ووفقهم سير آرائهم بين يديه.[4]

فالطريقة الصـــوفية تطلق على مذهب الشـــخص وحاله وطريق الرجل مذهبه، حيث يقال مازال فلان على طريقة واحدة أي حالة واحدة[5]، والطريقة في اللغة تطلق على المذهب

---

[1] – عبد العزيز (محمد عادل)، **التربية الإسلامية في المغرب (أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية)**، الهيئة المصـــرية العامة للكتاب، مصر، 1987، ص 122.

[2] – أنا ماري (شيمل)، **الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف**، ترجمة، محمد إسماعيل السيد، ط1، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، 2006، ص ص7، 19.

[3] – إسماعيل بن أحمد (فلاح)، **العلاقة بين التشيع والتصوف**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، كلية الدعوة وأصول الدين، السعودية، 1411هـ، ص 64.

[4] – أبو بكر محمد بن إسحاق (الكلاباذي)، **كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف**، تصحيح، أرتجون أربيري، ط1، الأثير مكتبة الخانجي، القاهرة، 1325هـ/1933م، ص05.

[5] – نور الدين (أبو لحية)، **الاتجاهات الفكرية لجمعية العلماء المسلمين**، ط1، دار علي، الجزائر، 2015، ص 181.

والسيرة والحال، وهي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى[1]، والطريق المجاز بمعنى السلوك[2]، فالطريق في التصوف هو الطريق إلى الله.[3]

فالتصوف الإسلامي هو عزوف النفس عن الدنيا وتخليها عن ملاذها والعكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زحف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور في لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وقد اعتبر فقها للباطن لاهتمامه بالأفعال الخاصة بالقلب والأحكام المتعلقة بأفعال القلوب، وما يخص المكلف في نفسه من أفعال الجوارح في عبادته وتناوله للضروريات.[4]

كما عرفه عبد الرحمن بدوي بقوله: «هو جانب من أخصب جوانب الحياة الروحية في الإسلام لأنه تعميق لمعاني العقيدة واستنباط لظواهر الشريعة وتأمل أحوال الإنسان في الدنيا وتأويل للرموز والشعائر يهبها قيما موغلة في الأسرار وانتصار الروح».[5]

ومع بداية القرن الخامس والسادس الهجريين الحادي والثاني عشر الميلاديين وخاصة خلال عصر المرابطين والموحدين اتخذوا التصوف منهاج لحياتهم، وكانت الملامح البارزة لهذا التصوف هي الزهد والمجاهدة النفسية والإكثار من العبادات والأذكار، وقد امتازت هذه الفترة بوجود أقطاب صوفية أصبح لهم تأثير في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط وعلى رأسهم الصوفي الزاهد يوسف أبو الفضل النحوي المعلم المدرس الذي تأثّر بالمصنفات الصوفية، فعكف على تدريسها في قلعة بني حماد وهو صاحب الكرامات الصوفية في المغرب الأوسط.

---

[1] – سبنسر (برمنغهام)، **الفرق الصوفية في الإسلام**، ترجمة، عبد القادر البحراوي، دار المعرفة الجامعة، د.م، 1994، ص11.

[2] – سعاد (الحكيم)، **المعجم الصوفي**، ط1، دندرة، د.م، 1981، ص ص 720-721.

[3] – سبنسر (برمنغهام)، **المرجع السابق**، ص 16.

[4] – أبو بكر محمد بن إسحاق (الكلاذبي)، **المصدر السابق**، ص 381.

[5] – إسماعيل بن أحمد (فلاح)، **المرجع السابق**، ص 73.

ثانيا: طرق انتشار التصوف في المغرب الأوسط.

ظهرت حركة التصـوف في المغرب الأوسـط في القرن الخامس والسـادس الهجريين الحادي والثاني عشـر الميلاديين نتيجة لتوفر العديد من الظروف لانتشـارها، والتي اختلف المؤرخون حولها حيث أن هناك من اعتبارها نتاج انتشـار أطروحة أبي حامد الغزالي الذي أعطى للصـوفية مكانة مرموقة في الإسـلام، وهناك من يرجعها إلى حالة البذخ والترف والانحلال الأخلاقي الذي انتشر في المجتمع المغاربي في عهد المرابطين.[1]

ومن هناك سادت حركة التصوف في المغرب الأوسط عبر العديد من الطرق أهمها:

أ-من الناحية السياسية: تعتبر السياسة السائدة في دول المغرب الأوسط عاملا أساسيا في انتشـار التصـوف، حيث أن المرابطون كانوا أهل ربط ملتزمون بالسـنة على المذهب المالكي فاحترم الحماديين ربط المرابطين دون التدخل في شـؤونهم وسـياسـتهم الخاصـة، وقد ظهر احترامهم للربـاط عنـدمـا ابتعـدوا عن ملاحقـة المهـدي بن تومرت في ربـاط ملالـة القريـب من بجاية[2]، وحول اعتكاف عبد الله بن ياسين (ت451هـ/1059م) مع أتباعه في رباطه على ضفاف النيل.[3]

كما احتكر الفقهاء في الدولة الحمادية المناصـب القضـائية العليا حتى أصـبحوا أصحاب مجالس لملوك حماديين كالأمير الحمادي يحي بن عزيز (515-547هـ/1121-1152م) والذي عين من طرف الفقيه مطرف بن علي بن حمادوش قائدا للجيش الحمادي في غزوه لتوزر بإفريقية.[4]

---

[1] – الطاهر (بونابي)، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7هـ/12-13م (نشأته تياراته دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ص 46.

[2] – عبد الرحمن (ابن خلدون)، **المصدر السابق**، ج1، ص 467.

[3] – عبد الرحمن (ابن خلدون)، **نفسه المصدر**، ج6، ص 374.

[4] – عبد الرحمن (ابن خلدون)، **نفسه المصدر**، ج6، ص 363.

وقد ازداد نفوذ الفقهاء في الدولة المرابطية أثناء فترة حكم يوسف بن تاشفين الذي استشارهم في أمور الحكم[1]، وكذلك في عهد ابنه علي بن يوسف بن تاشفين، حيث أصبح حكمه مقيد فلا يستطيع إصدار أي أمر إلا بحضور الفقهاء[2]، الذين منعوا تدريس الأصول واقتصروا على فروع مذهب الإمام مالك.

كما أثر المهدي بن تومرت في نشأة التصوف بالمغرب بآرائه العقدية التي وردت في كتبه كالمرشدة والتوحيد والعقيدة[3]، والأخذ بمذهب الأشعرية واعتماد العقل طريقا للوصول إلى التوحيد، فقد أصبحت عقيدته مفروضة من طرف الخلفاء الموحدين[4]، مما نتج عنه تيار صوفي يركز على الجهاد والصيام والقيام...فصار لابن تومرت العديد من الأتباع في كل من بجاية وتلمسان، كأبي مدين شعيب وأبي زكريا يحي الزواوي[5]، معتمدين على مبدأ أن الشرع يؤكد بعين اليقين ونور الإيمان وليس بالعقل، ولعل هذا ما أدى إلى تشكيل اتجاهات صوفية بالمغرب الأوسط، بالإضافة إلى تفضيل الموحدين مذهب الأشاعرة الذي يقر بالأولياء والصوفية وتصديق كرامتهم.[6]

ب-من الناحية الاجتماعية: في أوائل القرن السادس هجري تميزت الدولتان الحمادية والمرابطية بانتشار ظاهرة الترف في بجاية وتلمسان بشكل كبير، ولعل هذا ما أدى انتشار الآفات الاجتماعية (كالسرقة والخمر...)[7]، حيث يقول ابن خلدون: «...ثم يعظم

---

[1] – ابن عذارى (المراكشي)، **المصدر السابق**، ج4، ص 46.

[2] – عبد الواحد (المراكشي)، **نفس المصدر**، ص 17.

[3] – محمد المهدي (ابن تومرت)، **أعز ما يطلب**، تحقيق، عمار طالبي، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص ص 230، 270.

[4] – عبد العزيز (فيلالي)، **تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية)**، ج2، الجزائر، 2002، ص 359.

[5] – أحمد بن أحمد ابن العباس (الغبريني)، **المصدر السابق**، ص 58.

[6] – أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم (الشهرستاني)، **الملل والنحل**، تحقيق، السيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، ص 102.

[7] – عبد الرحمن (ابن خلدون)، **المصدر السابق**، ص 192.

الترف فيكثر الإسراف في النفقات وينشر ذلك في الرعية، لأن الناس على دين ملوكها وعوائدها»، لأن أهل المدن أبصر بطرق الفسق ومذاهبه والمهاجرة بدواعيه حتى بين الأقارب والأرحام والمحارم.[1]

كانت النساء المرابطيات يستعن بالأشرار وقطاع الطرق وبائعي الخمور[2]، حيث كانت الحفلات تخرج عن إطارها الشرعي[3]، فانتشرت فئة اليهود لبيع الخمور[4]، وانتشر أهل الدعارة، كما ظهرت آفة زنا المحارم وهذا ما أدى إلى اختلاط الأنساب[5]، كما ظهر سوق للنخاسة لاشتراء الجواري فأصبح هذا السوق ملتقى للعابرين.[6]

ج-من الناحية الدينية: في هذه الفترة عرف ميول الناس إلى الزهد والعبادات في أرجاء الدولة الحمادية، كما برز العديد من العلماء الذين عرفوا بالزهد والتقشف.

1- نزعة الزهد: ظهرت حركة الزهد[7] في بلاد المغرب الإسلامي مبكرا مقارنة بالمشرق الإسلامي، فقد اتجه إلى الزهد العديد من أهل المغرب وهذا يعود إلى عوامل سياسية وثقافية ونفسية، فقد نتج عن الفتح الإسلامي للمغرب تدفق المشارقة إلى تلك النواحي، مما جعل المغرب جزءا من العالم الإسلامي، فالكثير من الفاتحين كانوا من الزاهدين، بل أن المشاركة

---

[1] – عبد الرحمن (ابن خلدون)، **المصدر السابق**، ص 85.

[2] – عبد الواحد (المراكشي)، **المصدر السابق**، ص 177.

[3] – أبو بكر علي الصنهاجي (البيذق)، **المصدر السابق**، ص 39.

[4] – يوسف بن يحي التأدلي (ابن الزيات)، **المصدر السابق**، ص 129.

[5] – عبد العزيز (فيلالي)، **المرجع السابق**، ص 288.

[6] – أحمد بن أحمد ابن العباس (الغبريني)، **المصدر السابق**، ص 76.

[7] – الزهد بالمعنى اللغوي الخاص له مدلول ديني معناه عدم الرغبة في الدنيا وعدم الحرص عليها، وهو بذلك سلوك تعبدي إذ يقال يتزهد بمعنى يتعبد، أما في مفهومه الاصطلاحي فالزهد هو عدم الفرح بالإقبال عن الدنيا ولا الحزن على ديارها، ينظر: محمد بركات (البيلي)، **الزهاد والمتصوفة في المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري**، دار النهضة العربية، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، 1992، ص ص 6-8.

في الفتح هي نفسها الزهد[1]، ففي القرن(5هـ/11م) انتشرت مظاهر الزهد في أشهر مدن الدولة الحمادية، حيث نزل ببونة أوائل هذا القرن الفقيه الزاهد أبو عبد الملك مروان بن محمد الأندلسي الذي توفي (ت404هـ/1048م)[2] وأسس بها رباطه.

أما في قلعة بني حماد فقد تبوأ الزاهد أبو القاسم بن مالك مكانة محترمة عند الحماديين، حيث قاد سفارتهم إلى القيروان عند بني زيري، ولشدة ورعه وزهده لم ينفق في إقامته إلا من ماله الخاص، أما في بجاية فقد عرفت عودة الزاهد أحمد بن واضح الذي عرف بالزهد والفقه والمناظرات العلمية.[3]

2- انتشار الربط: لقد ورد ذكر لفظ الرباط[4] في قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ**﴾[5]، وفي قوله أيضا: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[6]، إلا أن الربط لم تظهر في المغرب الأوسط إلا بعد القرن الخامس للهجري وهذا راجع إلى حركة الجهاد البحري التي كانت المراسي مركزا لها فنابت عن الحركة المرابطية.[7]

---

[1] – محمد (دبدوب)، **مساهمة الحركة الصوفية في المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ببلاد المغرب الإسلامي وتفاعلاتها خلال القرنين (3-5هـ/9-11م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، الجزائر، 2000-2001، ص22.

[2] – وهو فقيه مالكي له كتاب في شرح الموطأ أصله من الأندلس انتقل إلى إفريقية فأقام ببونة فسار إليها، وهو الذي ألف عدة رسائل في الربط والتوبة وحسن الظن بالله، ينظر، ياقوت (الحموي)، **المصدر السابق**، ج1، ص 512.

[3] – الطاهر (بونابي)، **المرجع السابق**، ص 53.

[4] – الرباط لغة: من ربط يرابط وهو ما ربط به وجمعه ربط والرباط من الخيل، اصطلاحا وهو إعداد الخيل وربطها لملازمة ثغر العدو، فيقال فلان له رباط الخيل أي الحصن أو المكان الذي يرابط فيه الجنود، ينظر، محمد الأمين (بلغيث)، **الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين**، القافلة للتوزيع والنشر، الجزائر، 2013، ص 44.

[5] – القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية 60.

[6] – القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 200.

[7] – عبد الرحمن (ابن خلدون)، **المصدر السابق**، ص ص 198-199.

فكان للرباط في المغرب أثر كبير في تطوير الحياة الفكرية، حيث كانت تمارس بها العبادات وتعد معهدا لتدريس العلوم الدينية، فقد كانت الأربطة كثيرة في ديار صـــنهاجة المغربية، حيث عمل الرجال أمثال عبد الله بان ياسـين على نشـر تعاليمها فاتخذ رباط على مصب نهر السينغال لتعليم مبادئ الإسلام الصحيحة[1]، ومن بين الربط التي اشتهرت مرسى ندرومة التي بها رباط حســـن يتبرك بهن حيث قيل أن من أتى فيه منكرا لم تتأخر عقوبته، وقد عرف ذلك من بركته ومن صنع الله فيه.[2]

وبوهران نجد رباط صـلب الفتح الذي كان الطلبة يختمون فيه القرآن وفي ليلة 27 من رمضـان كان يجتمع به العباد[3]، وبين المغرب والقبلة من شـريش حصـن روطة على شـاطئ البحر، وهو موضع رباط ومقر للصالحين يقصده من كل الأقطار.[4]

بادر الزاهد أبو محمد عبد الله مروان في أوائل الخامس (5هـــ/11م) بتأسـيس رباط ببونة[5] بقي فيها يصـنف مؤلفاته فتقاطر عليه طلاب العلم ينهلون من علمه[6] ومازال موضـع رباطه ومسـجده لحد الآن محتفظ بتسـمية سـيدي بومروان، بني في عهد المعز ابن باديس[7]، وفي بجاية كان قصـــر اللؤلؤة رباط للجهاد يعتكف فيه المرابطون[8]، كما قدم عبد الســـلام

---

[1] – صفية (ديب)، **التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين بين القرنين 6-7هـ**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2011، ص 249.

[2] – محمد عبد المنعم (الحميري)، **الروض المعطار في أخبار الأقطار (معجم جغرافي مع فهارس شاملة)**، تحقيق، إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، ساحة رياض الفتح، لبنان–بيروت، 1985، ص 576.

[3] – أحمد بن محمد (ابن خلكان)، **المصدر السابق**، ج7، ص 126.

[4] – محمد عبد المنعم (الحميري)، **المرجع السابق**، ص340.

[5] – بونة، وهي مدينة بإفريقية بين مرســى الحرز وجزيرة بني مزغنة وهي مدينة حصـينة مقتدرة على البحر، أنظر، ياقوت (الحموي)، **المصدر السابق**، ج1، ص 512.

[6] – أبو الحسـن علي بن محمد (ابن الأثير)، **الكامل في التاريخ**، صـححه، محمد يوسـف الدقاق، ط1، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ص 188.

[7] – الهادي روجي (إدريس)، **المرجع السابق**، ج2، ص102.

[8] – وهو عبارة عن موضع أعلى من الجبل له امتداد في البحر يحتوي على مجموعة من القصور، فقصر اللؤلؤة هو رباط للحراسة والجهاد، ينظر، مجهول، **المصدر السابق**، ص 51.

التونسي إلى تلمسان سنة 486هـ/1193م وأسس بها رابطة وبقي يلقن طلبته التصوف إلى غاية وفاته في 512هـ/1118م.[1]

3-المؤلفات الصوفية: دخلت العديد من المؤلفات الصوفية المشرقية إلى المغرب والأندلس والتي كان لها تأثير في الحياة الصوفية، أبرزها كتاب الرعاية للحارث بن أحمد المحاسبي الذي توفي (254هـ/895م)، وقوت القلوب لأبي طالب محمد بن علي المكي (ق 3هـ/9م)، والرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري (ت465هـ/1072م)، وإحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (ت505هـ/1111م)، فضلا عن المصنفات الصوفية المشرقية.[2]

فقد قرر العلماء والصوفية تدريسها بعد أن كانوا يتلقوها عن مؤلفيها، وقد أصبحت هذه المصنفات متداولة منذ النصف الثاني من القرن (5هـ/11م) في حلقات الدرس بتلمسان وبجاية وقلعة بني حماد، ففي تلمسان كان الصوفي عبد السلام التونسي يدرس برابطته بتلمسان رعاية المحاسبي[3]، حيث دعا في أوائل القرن (6هـ/12م) إلى قراءة إحياء علوم الدين للغزالي، وقد نجح في تلمسان وهذا نظرا لأهمية وقيمة كتاب الإحياء وأفكاره الصوفية.[4]

وفي قلعة بني حماد درس الصوفي أبو الفضل النحوي الذي توفي (513هـ/1119م) كتاب الإحياء ونسخه في ثلاثين جزءا، حيث قال ابن النحوي وودت أني لم أنظر في عمري سواه[5]، حيث ورث أفكاره الغزالية للعديد من طلبته[6].

أما في بجاية فقد حل أبو مدين شعيب (ت594هـ/1189م) والذي جعل كتاب إحياء علوم الدين من أهم الكتب في مجلسه، كما درس الرسالة القشيرية وأطلع الطلبة على رعاية

---

[1] – يوسف بن يحي التأدلي (ابن الزيات)، **المصدر السابق**، ص 88.

[2] – الطاهر (بونابي)، «**نشأة وتطور الأدبي الصوفي في المغرب الأوسط**»، حوليات التراث، العدد 02، جامعة المسيلة، 2004، ص ص 13-14.

[3] – يوسف بن يحي التأدلي (ابن الزيات)، **المصدر السابق**، ص ص 92-93.

[4] – يوسف بن يحي التأدلي (ابن الزيات)، **المصدر نفسه**، ص 158.

[5] – أحمد بن محمد (ابن القاضي)، **المصدر السابق**، ص 346.

[6] – محمد بن محمد (ابن عبد الملك)، **المصدر السابق**، ج2، ص ص676-677.

المحاسبي[1]، أما أبا علي الحسن بن علي المسيلي فقد نسج على منوال الإحياء كتاب التفكير فيما تشـتمل عليه السـور والآيات من المبادئ والغايات[2]، وفوجئ العلماء بكتاب إحياء علوم الدين للغزالي حيث وجدوا فيه كثيرا مما لم يألفوه، إلا أن هذا لا يمنع من وجود بعض من تفقه بقراءته مثل يوسف أبو الفضل النحوي.[3]

ثالثا: أهم المتصوفة المعاصرين ليوسف أبو الفضل النحوي.

أ-أبو حامد الغزالي (ت505هـ/1111م): وهو صاحب الأفكار القائمة على الالتزام بالقرآن والسـنة والتركيز على تصـفية النفس بواسـطة القيام والصـيام والخلوة والذكر، وقد عرف أصحاب هذا الاتجاه باتجاه الغزالي الذي ظهر في المغرب الأوسط بدخول كتاب إحياء علوم الدين الذي ناصـره أبو الفضـل النحوي وأعجب به، وهو الذي ظهر منذ عهد يوسـف بن تاشفين محاولا الجمع بين الشريعة والحقيقة فأثار ضجة بين مناصريه وخصومه.[4]

ب-عبد السلام التونسي (ت518هـ/1126م): وهو محمد عبد السلام التونسي، كان عالما زاهدا من أبزر أولياء الله تعالى لا تأخذه في الله لومة لائم، يلبس الصـوف ويأكل من حرث يده[5]، نشأ بأغمات وأخذ عن عمه طريق إلى التصوف ورافقه إلى الأندلس ثم قدم إلى تلمسان في 486هـ/1093م بعد وفاة عمه وأسـس رابطة العباد خارج المدينة، كان يدرس كتاب

---

[1] – يوسف بن يحي التأدلي (ابن الزيات)، **المصدر السابق**، ص 58.

[2] – أحمد بابا (التنبكتي)، **المصدر السابق**، ص 104.

[3] – منال عبد المنعم (جاد الله)، **التصـوف في مصـر والمغرب**، منهل المعارف بالإسـكندرية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، ص 126.

[4] – عبد العزيز (بن عبد الله)، **معلمة التصـوف الإسـلامي (التصـوف المغربي من خلال رحلاته)**، ط1، ج2، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2001، ص17.

[5] – محمد بن محمد (ابن مريم)، **المصدر السابق**، ص 122.

الرعاية للمحاسبي وإحياء علوم الدين للغزالي[1]، بلغ الغاية في الزهد والتقشف إلى أن توفي وقبره بالعباد.[2]

ج-أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى ابن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن عريف (ت530هـ/1138م): أصله من طنجة، سمي بالعريف صاحب حراسة الليل من أهل الفضل والدين منقطعا إلى الخير، من أهل الزهد يألفونه ويقصدونه فيحمدون صحبته، سعي به إلى السلطان فأمر بإحضاره إلى مراكش فوصلها وتوفي بها ليلة الجمعة فدفن فيها[3]، قال أبو بكر بن خير أخذت عنه واستفدت منه مواضع ووصايا وذاكرته في أشياء من طريق الصوفية وأفادني، له منشور رفيع ومنظوم بديع، حدثني محمد بن علي بن عبد الرحمن الهواري عن أبيه عن ابن العريف أنه أراد حضور مجلس أخيه فقال أحدهم للآخر تتطهر لحضور مجلس الشيخ، فقال له الآخر إنما نتطهر لله، فذهبنا إلى مجلسه فوجده يتكلم فلما رآه قال: ولقد أحسن القائل منكما حيث قال: إن نتطهر لله.[4]

د-أبي بكر بن العربي (ت543هـ/1148م): يعد من الصوفية الذين ساروا على طريقة ومصنفات أبي حامد الغزالي فيما فيه الإحياء، تتسم العلاقة بين الغزالي وأبي حامد ابن العربي بإطار خاص، فهي علاقة تلمذة التقى به في آخر مراحل حياته الروحية، وهي الفترة التي دخل فيها الغزالي مرحلة التصوف في المشرق، ولما سأله مسترشدا عن عقيدته فأجابه إجابة الناهج للطريق السديد[5]، فلما التقى ابن العربي دون شامد الأصغر أي الغزالي قال ابن

---

[1] – جمال علال (البختي)، **الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن 7هـ**، ط1، مطبعة الخليج، 1424هـ/2003م، ص 65.

[2] – أبو العباس (ابن قنفد)، **المصدر السابق**، ص 108.

[3] – أبو القاسم (ابن بشكوال)، **المصدر السابق**، ص 81.

[4] – يوسف بن يحي التأدلي (ابن الزيات)، **المصدر السابق**، ص ص 119-120.

[5] – الطاهر (المعموري)، **المرجع السابق**، ص ص 63-64.

العربي ما شـهدنا منه ما كان فوق الصـفة وتحقيقا من الذي نقل إلينا[1]، كما قال أبو بكر ابن العربي أن شيخنا أبو الحامد بلع الفلاسفة وأراد أن يتقيؤهم فما استطاع.[2]

هـ-أبي الحسن بن علي بن حرزهم (ت559هـ/1164م): كان فقيها عارفا بالمسائل والفقه والحديث والمعرفة والتفسير والتصريف، يتكلم رعاية المحاسبي، كان وراعا عارفا بعلم الكلام، زاهدا في الدنيا، كان والده من كبار الصالحين وكذا أخوه، يحكى أنه قال طلعت كتب الإحياء للغزالي لمدة سنة[3]، توفي الشيخ الفقيه الصالح بمدينة فاس سنة تسع وخمسين وخمسمائة.[4]

و-أبو صلاح عبد القادر الكيلاني (ت560هـ/1165م): وهو الشيخ الزاهد أبي صالح عبد القادر الكيلاني، قرأ عليه أبو مدين شعيب بالحرم الشريف الكثير من الأحاديث فألبسه الخرقة وأوده على الكثير من أسـراره ثم رجع إلى بجاية واسـتقر بها، فقد قصـده بالزيارة من جميع الأقطار وتخرج على يده أكثر من ألف شـيخ منهم ابن العربي، كانت إقامته ببجاية، أمر بإحضاره إلى مراكش، دفن بتلمسان وكان قبره متزك مستجاب الدعاء عنده.[5]

ز-أبو يعزى يلنور (ت572هـ/1176م): وهو النور عبد الرحمن بن أبي بكر الإيلاني المغربي، ولد عام 488هـ/1095م، جال مختلف أنحاء المغرب وقضـى الجزء الأكبر من حياته في مدينة فاس، تلقى العلم عن أبي بكر بن العربي، مطلعا على مبادئ التصـوف، تخرج على يده كبار المشـايخ وأعلام الزهد، كان الناس يزورونه من مختلف أنحاء المغرب يأخذون عنه ويسمعون منه ويتبركون به، توفي عن عمر يقارب المائة وثلاثون سنة.[6]

---

[1] – شهاب الدين (المقري)، **المصدر السابق**، ص 91.

[2] – مصطفى (باجو)، **علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم**، ط2، منشورات سلسبيل، سلسلة البحوث في المذهب المالكي، ص 61.

[3] – أبو العباس (ابن قنفد)، **المصدر السابق**، ص 464.

[4] – أحمد بن القاضي (المكناسي)، **المصدر السابق**، ص 283.

[5] – يوسف بن يحي التادلي (ابن الزيات)، **المصدر السابق**، ص 164.

[6] – يوسف بن يحي التادلي (ابن الزيات)، **المصدر نفسه**، ص 48.

ح-محمد ابن علي بن جعفر المعروف بابن الرمامة (ت576هـــــ/1180م): من الفقهاء البارزين، مؤلف كتاب تسهيل المطلب في تحصيل المذهب، وكتاب التبيين في شرح التلقين، واختصـــر كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي، تفقه على يد ابن النحوي، تولى القضـــاء بفاس ولم يحمد.[1]

ط-أبو علي حسن بن علي المسيلي (ت580هـ/1185م): لقب بأبي حامد الصغير عاش في صـغره في المسيلة والقلعة ثم رحل إلى بجاية، درس وتعلم وتولى القضـاء بها[2]، كان من أهل العلم والدين يأتي إلى الجامع الأعظم في ثلث الليل للتهجد، وقد اتبع في كتابه التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات من مبادئ وغايات منهج أبي حامد الغزالي في كتابه الإحياء وهذا من خلال عرض القضـايا وتحليلها، وهذا ما قاله الغبريني: «كلامه فيه أحسن من كلام أبي حامد وأسلم ودل كلامه فيه على إحاطته بعلم المعقول والمنقول من الظاهر والباطن».[3]

ك-عبد الحق البجائي (ت582هـــــ/1186م): وهو عبد الحق بن عبد الرحمن الأردي الإشـــبيلي البجائي، فقيه محدث مشـــهور، زاهد أديب فاضـــل، كان رحمه الله من أهل العلم والعمل وهو شاعرا مطبوعا.[4]

ل-أبو علي سالم بن سلامة السوسي (ت590هـ/1195م): أصـله من تارودانت، درس الفقه بفاس على يد محمد بن عيسـى الهيلاني، كان عبدا صـالحا فاضـلا استقر بسـجلماسـة إلى أن مات بها.[5]

---

[1] – شمس الدين (الذهبي)، **المصدر السابق**، ص 271.

[2] – يحي (بوعزيز)، **المرجع السابق**، ص 33.

[3] – أبو الحسين (الغبريني)، **المصدر السابق**، ص 66.

[4] – الحفناوي، **المصدر السابق**، ص 428.

[5] – القاضي (المكناس)، **المصدر السابق**، ص 605.

ذكر لأبي علي ابن يحي ابن سليمان ابن أيوب الفطناسي تكلم جماعة من سجلماسة فقالوا لن يمطر هذا البلد ما دام فيه أبو علي ســـالم، فبلغه ذلك فدعا عليه اللهم ما أرســـل عليهم ســيلا يتعجبوا منه، فنزل المطر وجاء الســيل فقال محمد بن أبي القاســم نزل المطر وجاء السيل لم يعهد حتى خيف على البلد، كما قال أبي القاسم لما مرض أبو علي مرضه الذي توفي فيه فقلت له من يصلي عليه قال لي والدك فإني رأيت في النوم شخصا فقيل لي أبو القاسم هو الرجل الصالح، فلا يصلي سواه.[1]

م-أبو موسى حسين بن عبد العزيز الجزولي (ت607هـ/1211م): وهو أبي عيسى بن عبد العزيز بن يَلَلْبخْت الجزولي المراكشـي[2] أحد كبار علماء العربية النحوي المراكشـي حج ولازم عبد الله بن بري بمصر فأخذ العربية واللغات وسمع من أبي عبد الله صحيح البخاري، عمل ببجاية دهرا لإقراء النحو، كان إماما مقدما في معرفة العربية، توفي بأزمور من ناحية مراكش.[3]

ن-أبو عبد الله الدقاق (ت685هـ/1289م): من كبار مشايخ الصوفية، أحد أشياخ أبي مدين، كان يصرح بأنه والي ويتكلم بأشياء تنكر عليه، عالما، زاهدا ولد عام 602هـ، من إخوان الشـيخ أبو مدين يعتبر أول من أخذ عنه وأبو زكريا يحي بن علي الزواوي، كان له كرسـي بجامع بجاية يقرأ عليه العلم وأكثر ما يقرأه التفسـير والحديث، كثير الخوف من الله عز وجل يحذر الناس من جهنم وعذابها من كبار الصالحين.[4]

س-محمد بن محمد بن أبي القاسم (القرن السابع): هو عبد الله بن القاسم بن أبي الفضل السجلماسي، تلميذ الشيخ أبي محمد صالح، أخذ عنه ابن الزيات أخبار من كانوا بسجلماسة[5]

---

[1] – يوسف بن يحي التأدلي (ابن الزيات)، **المصدر السابق**، ص285.

[2] – أبو العباس (الغبريني)، **المصدر السابق**، ص 68.

[3] – العباس بن إبراهيم (السمللي)، **المصدر السابق**، ص 404.

[4] – أبو العباس (ابن قنفد)، **المصدر السابق**، ص28.

[5] – يوسف بن يحي التأدلي (ابن الزيات)، **المصدر السابق**، ص32.

وهو الشيخ المتصوف الصالح العابد، الزاهد الولي، لقي مشيخ فاضلة بالمشرق والمغرب، كان يرى أن اسم الله أعظم في قوله الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، كثيرا ما يذكر النبي عليه الصلاة والسلام، كان زاهدا لا يملك شيئا من الدنيان توفي بقلعة بني حماد قبره هناك متبرك به رحمه الله.[1]

رابعا: دور المتصوفة في الحياة الثقافية.

لقد ساد العلم في مختلف ميادين المعرفة أثناء العهد الموحدي وهذا بسبب راجع إلى العديد من العوامل التي أدت إلى ازدهار الحركة العلمية منها عناية الفقهاء بنشر الثقافة وتشجيع العلم والعلماء في المغرب الإسلامي، وكذلك انتشار الحواضر العلمية ودور المتصوفة فيها.[2]

أ-دور المتصوفة في إقامة الزوايا: تعتبر الزوايا[3] مؤسسة علمية هامة في بلاد المغرب الإسلامي، ذات طابع ديني وثقافي، وهي مكان لاجتماع المتصوفة للعبادة والذكر وتلقي العلوم وتحفيظ القرآن وإيواء الطلبة وإطعام المحتاجين، لذا اتخذها الصوفية مكان لإقامة حلقات الذكر فيها[4]، ولم تظهر الزاوية كمكان إلا في حدود القرن (5هـ/11م) بعد ظهور الربط والمرابطين، فقد كانت دار للكرامة[5] ومركز ديني علمي[6]، فقد شبه أبو القاسم سعد الله الزاوية بالرباط لاشتراكها في خدمة الدين والمجتمع، فالرباطات قريبة من مواقع الأعداء

---

[1] – أبو العباس (الغبريني)، **المصدر السابق**، ص123.

[2] – عبد الحميد (النجار)، **المهدي بن تومرت**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص 383.

[3] – الزاوية، هي الحال أو الصفة أطلقت على الإنسان الذي اعتزل الناس، وركن في مكان قصد التعبد فنسب إلى ركن من البناء فسمي المكان بالزاوية، وهي من مادة انزوى بمعنى العزلة والانزواء، وزوى الشيء أو زواه أي بمعنى جمعه وقبضه، أنظر، شوقي (ضيف) وآخرون، **المعجم الوسيط**، ط4، ج1، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ص 408.

[4] – عبد الحكيم عبد الغاني (قاسم)، **المذاهب الصوفية ومدارسها**، ط2، مكتبة مدبولي، 1999، ص 132.

[5] – محمد (نسيب)، **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، دار الفكر، الجزائر، 1988، ص 27.

[6] – محمد (حجي)، **الرؤية الدلائية ودورها العلمي والديني والسياسي**، ط2، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، 1988، ص 21.

للجهاد والدفاع عند حدود الإسلام، فكان الطلبة جنود وعلماء في نفس الوقت[1]، وأبرزها رابطة عبد السلام التونسي في تلمسان والتي كانت تقوم بوظيفتين أساسيتين هما: الانقطاع للتعبد والاجتماع مع الطلبة[2]، بالإضافة إلى المدنيون من أتباع أبي مدين شعيب يجتمعون برابطة ابن الزيات يؤدون فيها رياضياتهم وأورادهم اليومية، فقد تحول الرباط إلى زاوية نشط فيها المتصوفة قصد نشر التعليم والمعرفة ومحاربة الجهل ومنبعا للأنوار الشريفة.[3]

وزاوية المتصوف أبي زكريا يحي الزواوي الذي توفي (ت611هـ/1214م) والتي كانت ملحقة بمسجد أبو النوار المشترائي.[4]

أبو الحسن الشاذلي الذي توفي (ت656هـ/1258م) ويرجع الفضل في تأسيسها إلى المريدين وأتباعه الذين انتشروا في العديد من الدول العربية.[5]

ب-دور الصوفية في التعليم: حاول المتصوفة نشر التعليم باعتباره ضروريا لنمو وتطور الحياة الفكرية، وعنصر فعال في الترقية، فرغب المتصوفة في تلقين معارفهم فمارسوا أنواعا مختلفة من التعليم تتماشى مع المستوى الفكري للمتلقي.

1-تعليم الصبيان: عمل المتصوفة على تعليم الصبيان، حيث كانوا يأمرونهم بالصلاة لسبع سنين ويضربوهم عليها لعشر ويعلمونهم مبادئ عقائد الإيمان وفروع الشريعة ويختبروهم كيف وضوئهم وصلاتهم وتعليمهم أسماء الشهرة العربية والأعجمية وإقراؤهم تلقينا من سبح باسم ربك إلى آخر القرآن من الجنة والناس.[6]

---

[1] – أبو القاسم (سعد الله)، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830م)**، ط1، ج1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 245.

[2] – يوسف بن يحي التأدلي (ابن الزيات)، **المصدر السابق**، ص ص 88-89.

[3] – عباس إبراهيم (المراكشي)، **المصدر السابق**، ص 367.

[4] – محمدة بن عبد الله أبو العباس (الغبريني)، **المصدر السابق**، ص ص 137-138.

[5] – طه (الولي)، **المساجد في الإسلام**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان-لبنان، 1409هـ/1988م، ص100.

[6] – أحمد بن أبي جمعة (المغراوي)، **جامع جوامع اختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان**، تحقيق، أحمد جلولي البدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مكتبة المسجد، الجزائر، ص 47.

فيجب على المعلم أن يجعل لهم وقت يعلمهم فيه الكتب ويجعلهم يتحايزون لأن ذلك من مصلحتهم ويبيح أدب بعضهم البعض، فلا يجوز لهم أن يضرب رأس الصبي ووجهه، ففي وقت فراغ من الصبيان ترى المعلم يكتب كتب الفقه، كما ينبغي له أن يعلمهم إعراب القرآن وذلك لازم له والشكل والهجاء والخط الحسن، والتوفيق والترتيل، ولا بأس أن يعلمهم الشعر.[1]

درس القرآن للصبيان بتلمسان أبي إسحاق بن يسول الإشبيلي في النصف الأول من القرن (6هـ/12م)[2]، كان شائعا بين الصوفية مبدئي عدم قبول الأجرة من الأطفال ميسوري الحال وهذا ما قام به أبو عثمان سعيد بن علي البلنسي (ت654هـ/1256م) في بجاية.[3]

قال ابن خلدون فأما أهل المغرب فمذهبهم في الوالدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمه، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب، إلا أن يحدث أو ينقطع دونه.[4]

2- تعليم الشباب: درس الصوفية الشباب العديد من العلوم في الزوايا والرباطات ومن أبرز الذين عرفوا في هذه المهمة في قلعة بني حماد يوسف أبو الفضل النحوي الذي كان يدرس الحديث وأصول الدين وعلم التفكير[5]، وفي بجاية برز الصوفي أبو يحي الزواوي الذي درس علم الفقه والحديث وعلم التفكير بالجامع الأعظم وزاوية بجاية[6]، بالإضافة إلى أبو مدين شعيب وأبو علي حسن المسيلي في مساجد بجاية معتمدين على الرسالة القشيرية وإحياء

---

[1] – محمد (بن سحنون)، **كتاب آداب المعلمين**، تحقيق، محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية، تونس، 1392هـ/1972م، ص ص 101-102.

[2] – يوسف بن يحي التأدلي (ابن الزيات)، **المصدر السابق**، ص 288.

[3] – أبو العباس (الغبريني)، **المصدر السابق**، ص 245.

[4] – عبد الرحمن (ابن خلدون)، **المصدر السابق**، ص 334.

[5] – الطاهر (بونابي)، **المرجع السابق**، ص 231.

[6] – أبو العباس (الغبريني)، **المصدر السابق**، ص ص 136-137.

علوم الدين[1]، كما نشطت دروس علم العربية والتفسير والحديث وأصول الفقه وأصول الدين والمنطق والفلسفة وعلم التصوف وعلم الفرائض[2]، حيث نجد أن الصوفي أبا محمد عبد الله بن عبادة القلعي الذي توفي في 669هـ/1270م كان يدرس الفقه والحديث والرواية.[3]

3-التعليم الشعبي: إن التعليم الشعبي هو التعليم الذي يضمن الحد الأدنى من المعارف الدينية التي يجب على كل مسلم تعلمها ومعرفتها من الشعائر الدينية، وهو موجه إلى جميع المسلمين، ظهر في المغرب مع الفاتحين الأوائل، حيث ساهم في إرساء أسسه بمؤسسات دينية واجتماعية (المسجد، الكتاب، الرباط...)[4]، فقد درس أبي زكريا يحي الزواوي بالجمع الأعظم علم الحديث والفقه وعلم التذكير، كما كان معاصره أبو علي حسن المسيلي يعمل على تدريس العامة أمور الدين.[5] أولى الموحدون اهتمام بالتعليم الشعبي فحددوا توقيته كل يوم بالفترة الصباحية شتاء والمسائية صيفا، وعينوا لها مدرسين لكنهم لم يشترطوا في المدرس أن يكون ذو ثقافة علمية واسعة.[6]

خامسا: الكرامات الصوفية عند يوسف أبو الفضل النحوي.

أ- مدلول الكرامة الصوفية: تعتبر الكرامة الصوفية من حيث مدلولها الفكري والمعنوي أنها بنية أساسية في الفكر البشري كالبنية العقلانية مرتبطة بنمط مجتمعي وبأسلوب معيشي في الوجود، وممارسة لمعتقد ديني وتأكيدا لهذا المعتقد[7]، فلا ينكر كرامة إلا معاند محروم سيء الاعتقاد كثير الانتقاد[8]، فهي فعل خارق للعادة تظهر على يد عبد صالح متمسك بسنة الله

---

[1] – أبو العباس (الغبريني)، **المصدر السابق**، ص ص 56-58.

[2] – أبو العباس (الغبريني)، **المصدر نفسه**، ص 148.

[3] – أبو العباس (الغبريني)، **المصدر نفسه**، ص 93.

[4] – عبد العزيز (فيلالي)، **المرجع السابق**، ص331.

[5] – أبو العباس (الغبريني)، **المصدر السابق**، ص 67.

[6] – عبد العزيز (فيلالي)، **المرجع السابق**، ص 333.

[7] – إبراهيم القادري (بوتشيش)، **الإسلام السري في المغرب العربي**، ط1، دار سينا للنشر، القاهرة، 1995، ص132.

[8] – أحمد الخطيب (ابن قنفد)، **المصدر السابق**، ص 04.

في جميع أحواله من غير ذي التنبؤ[1]، حيث يقول أكثر الصوفية أن ظهور كرامات جائز بل واقع، وهي أمور ناقضة للعادة غير مقترنة بدعوة النبوة، وهي عون للولي[2]، فقد جاءت في أحاديث صحيحة وآثار مشهودة أن الكرامات كثيرة لا يمكن إحصائها والمنكرين لهاته الكرامات فهم كافرون حتى ولو رأوه بأعينهم مصداقا لقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ **وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[4]، وقد نقلت الكرامات عن الصحابة كالذي روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أنه بعث جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى سارية بن الحصين، فبينما كان عمر يخطب يوم الجمعة فصاح في خطبته وهو على المنبر يا سارية الجبل الجبل، قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فكتبت تاريخ تلك الكلمة فقدم رسول مقدم جيشي فقال يا أمير المؤمنين أغزون يوم الجمعة وقت الخطبة فهزمونا فإذا بإنسان يصيح يا سارية الجبل الجبل فأسندنا ظهرنا إلى الجبل فهزم الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة ببركة ذلك الصوت[5]، كما فسرها الصوفية أن الله قد جعل قلوب أوليائه متعلقة بمشيئته، فإذا شاء شيئا شاءوه، كما يجب على الولي سرها وإخفاؤها لأنه جانب من السر الذي يجب عدم البوح به، لأنه لا يصح للولي أن يدعيها وأن يلاحظها، لأن ذلك يخرج عن إرادته ويخرج الكرامة على أن تكون فعلا خالصا لله.[6]

---

[1] – أحمد بن يحي (الونشريسي)، **المصدر السابق**، ص395.

[2] – الولي في اللغة من يتولى الأمر قياما به ومحافظة عليه لذا يطلق على الحكم والولي والقريب، أما شرعا الولي هو المؤمن التقي، أما عند المتصوفة فالولي هو من تولاه الله أمره بالخصوصية مع مشاهدة الأفعال والصفات، انظر: أبو بكر جابر (الجزائري)، **إلى التصوف يا عباد الله**، دار البصيرة، الإسكندرية، 1404هـ، ص 89.

[3] – القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية 07.

[4] – القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 186.

[5] – ماسينيو ومصطفى عبد الرزاق، **المرجع السابق** ص ص 94-95.

[6] – أحمد محمود (الصبحي)، **التصوف (سلبياته وإيجابياته)**، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، 1119هـ، ص 64.

والكرامة نوعان، الظاهرة هي التي يراها الغير وقد تعود ثمرتها عليه وهي علامة على صـدق الولي والعون له على الطاعة والدالة على صـدق دعواه، أما الكرامة الباطنة فهي لا يراها سوى الولي ذاته وهي خاصة به ومقوية ليقينه وعليه سترها وإخفاؤها.[1]

ب-الكرامات الصوفية عند يوسف أبو الفضل النحوي: اشتهر النحوي بالكرامات الصوفية التي عرف بها في المغرب الإسـلامي عامة وفي المغرب الأوسـط (قلعة بني حماد)، حيث عرف بهذه الكرامات ولعل هذا ما جعله محط دراسـة المؤرخين والمترجمين عصـر الوسـيط ومن أهم كراماته:

1-الزهد عن يوسف أبو الفضل النحوي (التقشف واللباس الخشن من الصوف واللباس الأبيض): قال الشيخ أبو القاسم بن الملجوم الفاسي ورد أبو الفضل فاس فلازمه أبي وحفظ لمع الشـرازي عام 494هـ، وسـافر منها إلى القلعة فأخذ نفسـه بالتقشـف ولبس الخشـن من الصـوف وكانت جبته إلى ركبيه، فمر يوما بالفقيه أبي عبد الله بن عصـمة المفتي فلم يسـلم عليه لشـغل باله، فعظم عليه ولما رجع ناداها محقرا يا يوسـف فجاءه وقال له يا توزري صفرت وجهك ووقفت ساقيك وصرت تمر ولا تسلم فاعتذر فلم يقبل وأغلظ له في القول فقال غفر الله لك يا فقيه يا أبا محمد فانصـرف[2]، وهذا دليل على أن ابن النحوي قد مارس سلوكه الصوفي في القلعة الحمادية.

حكي أن ابن حرزهم أنه قال كان أبو الفضل يلبس البياض فدخل عليه شـاب من طلبة العلم فبادر أن يسـلم عليه فأراق الحبر على ثوب أبي الفضـل فخجل الطالب فقال له أبي الفضـل مزيحا عنه الخجل كنت أقول أي لون أصـبغ به هذا الثوب فالآن أصـبغه حبريا فجرده وبعث به إلى الصباغ.[3]

---

[1] – منال عبد المنعم (جاد الله)، **المرجع السابق**، ص 125.

[2] – عبد الغاني (حروز)، **المرجع السابق**، ص 125.

[3] – أحمد بن القاضي (المكناسي)، **المصدر السابق**، ص 553.

2-الغيبة مع الله عز وجل (الخشوع في الصلاة): من الكرامات التي عرف بها ابن النحوي الغيبة[1] والحضور مع الله تعالى فدخل في بيت يصلي، فكثر عليه اللفظ وارتفعت الأصوات في الدار فقال الضيف لابنه أما تشغلون خاطر الشيخ بهذا في صلاته فلم يشعر بذلك[2]، فتعجب الضيف من قوله كالمنكر له فأخذ ابنه السراج وأدناه من عين أبا الفضل وهو في صلاته فلم يحس به لحضوره مع الله وغيبته عن الخلق.[3]

3-استجابة الدعاء: تميز ابن النحوي بكرامة استجابة الدعاء وهي من الخصائل التي ميزه بها الله مصداقا لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[4] وهو من العلماء العاملين على سنن الصالحين مجاب الدعوة، حيث يحكى أن أبو الفضل أحيا ليلة بسجدة يدعو فيها على ابن دبوس قاضي مدينة فاس وخرج مسافرا فخرج ولد هذا القاضي في جملة من الشيعة فقال: «يا ولدي ارجع تحضر جنازة والدك»[5] فتعجب ورجع فسمع الصراخ في الدار فسأل فقال له توفي والدك[6]، وسبب الدعاء عليه هو أن ابن النحوي كان له اعتقاد تام بالإحياء للغزالي، كان يقرأ علم الكلام في الجامع للطلبة فدخل هذا القاضي فأمر بإبطال الدرس فدعا عليه حيث قال كما تسببت في إهانة العلم فأرنا في العلامة، ويذكر ما دعا قط إلا استجاب.[7]

---

[1] – والغيبة هذه غير حالة السكر، حيث يغيب الشخص عن تمييز الأشياء ولا يغيب عن الأشياء، فهو لا يميز بين المرافقة والملائمة، وبين أضدادها في مرافقة الحق فإن قلبه وجود الحق ستسقطه عن التمييز بين ما يؤلمه وما يلذه، أنظر: الطاهر (بونابي)، **المرجع السابق**، ص 117.

[2] – أحمد بابا (التنبكتي)، **المصدر السابق**، ص 623.

[3] – يوسف بن يحي التأدلي (ابن الزيات)، **المصدر السابق**، ص ص 96-97.

[4] – القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 186.

[5] – أحمد الخطيب (ابن قنفد)، **المصدر السابق**، ص 107.

[6] – أحمد بن يحي (الونشريسي)، **المصدر السابق**، ص 658.

[7] – عبد المنعم (الفاسي)، **المرجع الساب**، ص 429.

فجرى له بفاس مع قاضيها ابن دبوس فدعا عليه فأصابته أكلة في رأسه فوصلت لحلقه فمات، وقطع الليل خروجها في صبحة بسجدة قائلا: اللهم عليك بابن دبوس فأصبح ميتا[1]، فقال ابن النحوي:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ∴ تأمل فيك ما صنع الدعاء

سهام الليل لا تخطى ولا كن ∴ لها أمد وللأمد انقضاء.[2]

ولما شكى إليه بعض أهله الضيق من فراره من مظالم بلده ورغبته في رفع المظالم ليؤذن له بالرجوع فقال: سأفعل وتضرع في الله في تهجده فقال:

لبست ثوب الرضا والناس قد رقدوا ∴ وقمت أشكوا إلى مولاي ما أجد

وقلت يا سيدي يا منتهى أملي ∴ يا من عليه بكشف الضر أعتمد

أشكو إليك أمورا أنت تعلمها ∴ مالي على حملها صبر ولا جلد

وقد مددت يدي للضر مشتكيا ∴ إليك يا خير من مددت إليه يدي

ونظم المنفرجة وأعاد أهله السؤال فقال: بلغ أمر أهله وسترى، فقال السائل: قضيت الحاجة ورأى الباغي في نومه فارسا يحمل عليه بيده حربة من النار فانتابه مذعورا ويتعوذ ثم نام ويعاوله إلى أن قال إنما يتعوذ من الشيطان وأنا ملك للعبد الصالح.[3]

كان مجاب الدعوة حتى كان يقال نعوذ بالله من دعوة ابن النحوي.[4]

وحدثني يحي بن عبد الرحمن بن يحي بن أبي بكر بن الأخنس عن أبيه أحمد بن عشرة قال تزوجت ابنة عمي، فلما خرجت من عندها مررت بسوق الصيارفة فرأيت سلكا بيد دلال ينادي عليه بخمسمائة دينار، فاشتريته إلى أجل وحملته إلى ابنة عمي على عادة الناس في إتحاف العروس فلم يكن عندي أين أقضي ثمنه فلما بقي من أجله يوما بت متحيرا،

---

[1] – الطاهر (بونابي)، **الدولة المركزية في قلعة بني حماد بمناسبة عشرينية جامعة المسيلة**، أعمال الملتقى الوطني الأول، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، الجزائر، 26–27 أفريل 2005، ص 295.

[2] – يوسف بن يحي التأدلي (ابن الزيات)، **المصدر السابق**، ص 99.

[3] – أحمد بابا (التنبكتي)، **المصدر السابق**، ص 624.

[4] – أحمد بن القاضي (المكناسي)، **المصدر السابق**، ص 553.

فأسبغت الوضوء وصليت وجعلت أهتف طوال ليلتي بدعاء قد علمني إياه أبو الفضل، فلما طلع الفجر سمعت قارعا يقرع الباب فخفت أن يكون صاحب السلك فإذا هو رسول أبي فقلت في نفسي لعله صاحب الدين شكى إلى أبي، فأردت أن أكتتم منه، فلم يكن بدا مني النهوض إليه، فلما دخلت عليه سألني عن حالي وآنسني وقال لي: ارفع مع تحت البساط فحملت خريطة فإذا فيها ألف دينار فقضيت الدين بنصفه وأصلحت بعض حالي ببقيته، حيث يقال أن الدعاء هو المأثور عند الخضر عليه السلام.[1]

4-ظاهرة الاعتقاد والتبرك: تعتبر ظاهرة الاعتقاد في الصوفية من السلوكات التي درج إليها مجتمع المغرب الأوسط منذ ظهور الصوفية في وسطه، وذلك نظرا لما اكتشفه من وسائل امتلكها هؤلاء الصوفية فهي سلاح الكرامة والبركة والدعاء[2]، فقد عرف يوسف ابن النحوي بظاهرة التبرك حيث قال الحافظ ابن حرزهم أوصاني أبي أن أقبل يد أبي الفضل متى لقيته في اليوم مائة مرة.[3]

قال أبو العباس الناقوسي أن أبي الفضل كان قبره مشهورا بالبركة وهو أحد أئمة المسلمين وأعلام الدين[4]، فبعثني إليه يوما ليدعوا لي فأتيته عند الغروب فأذن وأقام وصليت معه فلما أراد أن يكبر نظرت إلى ثوبه على كتفيه يتحرك حركة شديدة ويسمع صوته من شدة الخوف فلما سلم دعا لي فانصرفت وقلت لأبي لقيت رأيته صلى قبل صلاة أهل البلد فقال لي أتتكلم في ولي الله وهل وقت المغرب إلا الذي صلى فيه وإنما ابتدعوا التأخير عنه ثم قال لأمي هذا الصبي نرجو أن ينفع الله به فإني وجدت بركة أبي الفضل قد دخلت وعليه

---

[1] – يوسف بن يحي التأدلي (ابن الزيات)، **المصدر السابق**، ص 100.

[2] – الطاهر (بونابي)، **الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرن (8-9هـ/14-15م)**، أطروحة دكتوراه في العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، 1429-1430هـ/2008-2009هـ، ص 668.

[3] – محمد بن محمد (بن مخلوف)، **المصدر السابق**، ص 126.

[4] – أبي عبد الله محمد (ابن مريم)، **المصدر السابق**، ص 154.

نور فعلمت ببركته وحمد الله تعالى والده وقال يا ولدي حدث عندك أبي الفضـــل ســـر لم أعهده.[1]

5-عدم قبول هدايا الناس: فأبا الفضـــل النحوي لا يقبل من أحد شـــيء وإنما يأكل كل ما يساق إليه من بلده توزر فإذا احتاج وتأخر عنه ماله دعا بذلك الدعاء فيفرج عنه.

ويقال أن هذا الدعاء هو المأثور عن الخضـــر عليه الســـلام: اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء، وعلمت ما تحت أرضـــك كعلمك بما فوق عرشـــك، وكانت وســـاوس الصـــدور كالعلانية عندك، وعلانية القول كالســـر في علمك...إنك التواب الرحيم.[2]

6-كرامة الوضوء: قال ابن الزيات...فأتيته وقت غروب الشمس فوجدته يتوضأ فلما فرغ من وضـــوئه نظرت إلى الإناء كأنه لم ينقص منه شـــيء.[3] وهذا يدل على الفضـــل والبركة في الرزق التي يتمتع بها ابن النحوي.

[1] – أحمد الخطيب (ابن قنفد)، **المصدر السابق**، ص 108.

[2] – يوسف بن يحي التأدلي (ابن الزيات)، **المصدر السابق**، ص 100.

[3] – إبراهيم القادري (بوتشيش)، **المرجع السابق**، ص 139.

-خلاصة.

نستطيع القول أن الحركة الصوفية انتشرت وتوسعت في المغرب الأوسط نتيجة الأعمال التعبدية التي كان يقوم بها الزهاد وهي حركة الزهد وانتشار الربط والدور الذي لعبته المؤلفات والمصنفات الصوفية (رسالة القشيري ورعاية المحاسبي وقوت القلوب لأبي طالب المكي والإحياء لأبي حامد الغزالي) وهذا ما جذبهم إلى الإقبال على التصوف بالإضافة إلى العوامل الاجتماعية محاربة الآفات والسياسية من خلال تهيئة الظروف السياسية للحركة الصوفية، وهنا برزت كوكبة من الصوفية في المغرب الأوسط والتي حاولت زرع هذه الأفكار من خلال نشاطها العلمي الذي يمثل بحلقات العلم والدروس، حيث تعتبر هذه المجموعة من الصوفية المعاصرة فكريا ليوسف أبو الفضل النحوي قد برز نشاطها في الزوايا وتعليم الطلاب بمختلف شرائحهم، كما أن هناك العديد من الكرامات الصوفية لدى أبو الفضل النحوي والتي بفضلها استطاع هذا المتصوف الزاهد أن يتبوأ مكانة روحية في القلعة الحمادية وفي المغرب الإسلامي والتي تعتبر من الفضائل التي أنعم بها الله عليه، نظرا لاستقامته وزهده وتقشفه في متاع الدنيا.

خـــاتمة

خاتمة:

وفي ختام هذا البحث الذي تطرقنا فيه إلى شخصية "يوسف أبو الفضل النحوي ومكانته العلمية والروحية في المغرب الإسلامي خلال القرنين (5-6هـ/11/12م) توصلنا إلى بعض الاستنتاجات لعل أهماها يتمثل فيما يأتي:

-أن القرنين (5-6هـ/11/12م) هما العصر التاريخي لشخصية يوسف أبو الفضل النحوي التوزري وليد المغرب الأدنى، إلا أن الصدى المعرفي لابن النحوي ومكانته تجاوزت انتمائه الجغرافي، مما جعل منه أحد أعلام المغرب الإسلامي بأكمله، فتأثيره كشخصية فاعلة برز في المغرب الأوسط الذي التجأ إليه هروبا من مظالم وقهر حاكم توزر.

- تميزت حياته الفكرية بنشاط ثقافي مستمر في قلعة بني حماد والحواضر الإسلامية الأخرى كالحجاز وفاس وسجلماسة، ويعود هذا إلى التنافس العلمي والثقافي الكبير بين حكام المغرب الإسلامي وحرصهم على توفير شروط النمو الثقافي كتشجيع طلبة العلم والرحلة العلمية للاحتكاك بالعلماء، مما نتج عنه انتشار العلوم وكثرة طلبة العلم، فالجو العلمي للقلعة جعل منها حاضرة علمية جاذبة للعلماء وطلاب العلم والمعرفة، حيث كان أبو الفضل النحوي من ألمع شيوخها حيث استفاد مما درس بها من أعلام، وتبعا لذلك فقد تزايد عدد العلماء والطلاب بالمنطقة، فقد كانوا ينتقلون بين الحواضر الإسلامية مما أتاح فرصة الاحتكاك معهم، وكل هذا كون المناخ العلمي الذي استفاد منه أبو الفضل النحوي.

- كما أن الرحلة العلمية التي قام بها إلى الحواضر الإسلامية وفرت له فرصة ثمينة للاتصال والتواصل مع علمائها ونوابغها، فرحلته الإسلامية كانت تهدف إلى نشر العلم والاستزادة العلمية وأداء فريضة الحج ولقاء مشايخ المشرق.

- قدم أبو الفضل النحوي مشاركة علمية في القلعة الحمادية وحواضر المغرب الإسلامي من خلال ما يلي:

1- التأليف، حيث ساهم بمصنف هام وهو قصيدة المنفرجة التي مست الجانب الديني الإسلامي وشتى أنواع العلوم من لغة وأدب وتصوف وهي من أهم القصائد التي أضيفت إلى الشعر الإسلامي، وهي قصيدة تفيض بالحكمة والموعظة.

2- التدريس، حيث درس ابن النحوي كوكبة من العلماء المشهورين كأبو عبد الله محمد بن علي ابن الرمامة، حيث لم يبخل ابن النحوي في نشر علمه وثقافته على طلاب العلم فازدحمت بهم حلقات الدرس في القلعة والحواضر الأخرى.

3- مواقف ابن النحوي العلمية والتي تظهر في مناصرته لكتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، نظرا لقيمته وتأثيره من خلال المضامين التي وردت فيه.

- كما احتل ابن النحوي مكانة صوفية مرموقة وساعده على ذلك انتشار وتوسع الحركة الصوفية في المغرب الأوسط، نتيجة للعديد من العوامل وأهمها حركة الزهد التي برز فيها ابن النحوي والمصنفات الصوفية، وأشهرها الإحياء الذي عكف ابن النحوي على تدريسه، ومن هنا برزت كوكبة من الصوفية التي تأثرت بأفكار ابن النحوي من خلال نشاطه التعليمي الصوفي، إضافة إلى الأعمال التي تظهر على يد هذا العبد الصالح المتمسك بسنة الله في جميع أحواله، فكانت له مكانة روحية في قلعة بني حماد والتي تعتبر من الخوارق ميزه الله بها.

ومن الآثار الباقية ليوسف أبي الفضل النحوي إلى اليوم هو ضريحه الموجود على بعد عشرات الأمتار من المسجد الأثري لقلعة بني حماد، ويقع في القرية التي تسمى باسمه أيضا، ويحظى بالتبجيل والاحترام لدى سكان المنطقة الذين يعتبرونه من أولياء الله الصالحين ويسمونه بالعامية "سيدي بلفاضل".

الملاحق

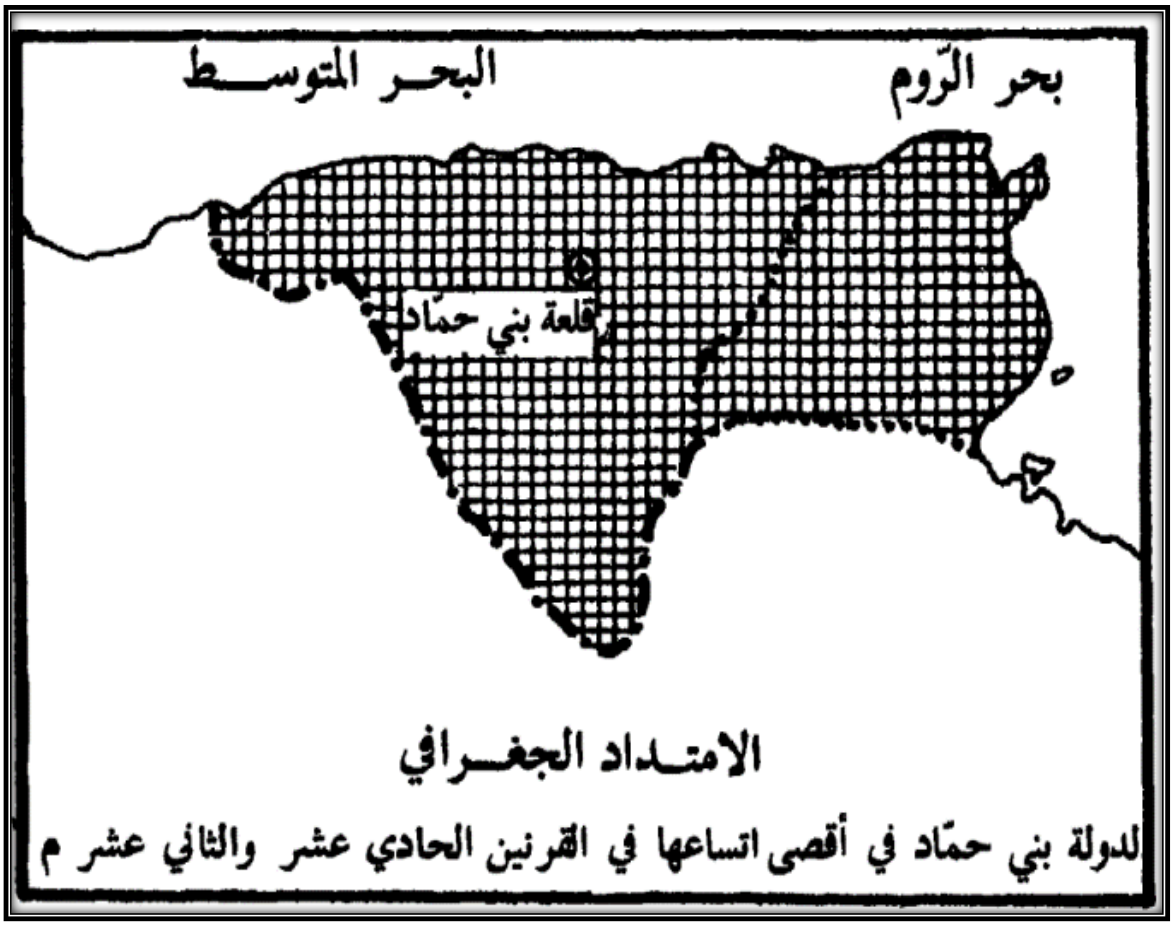

الملحق رقم (01): خريطة توضح موقع القلعة داخل حدود الدولة الحمّادية

عبد الحليم (عويس)، قلعة **بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر**، ... ص 97.

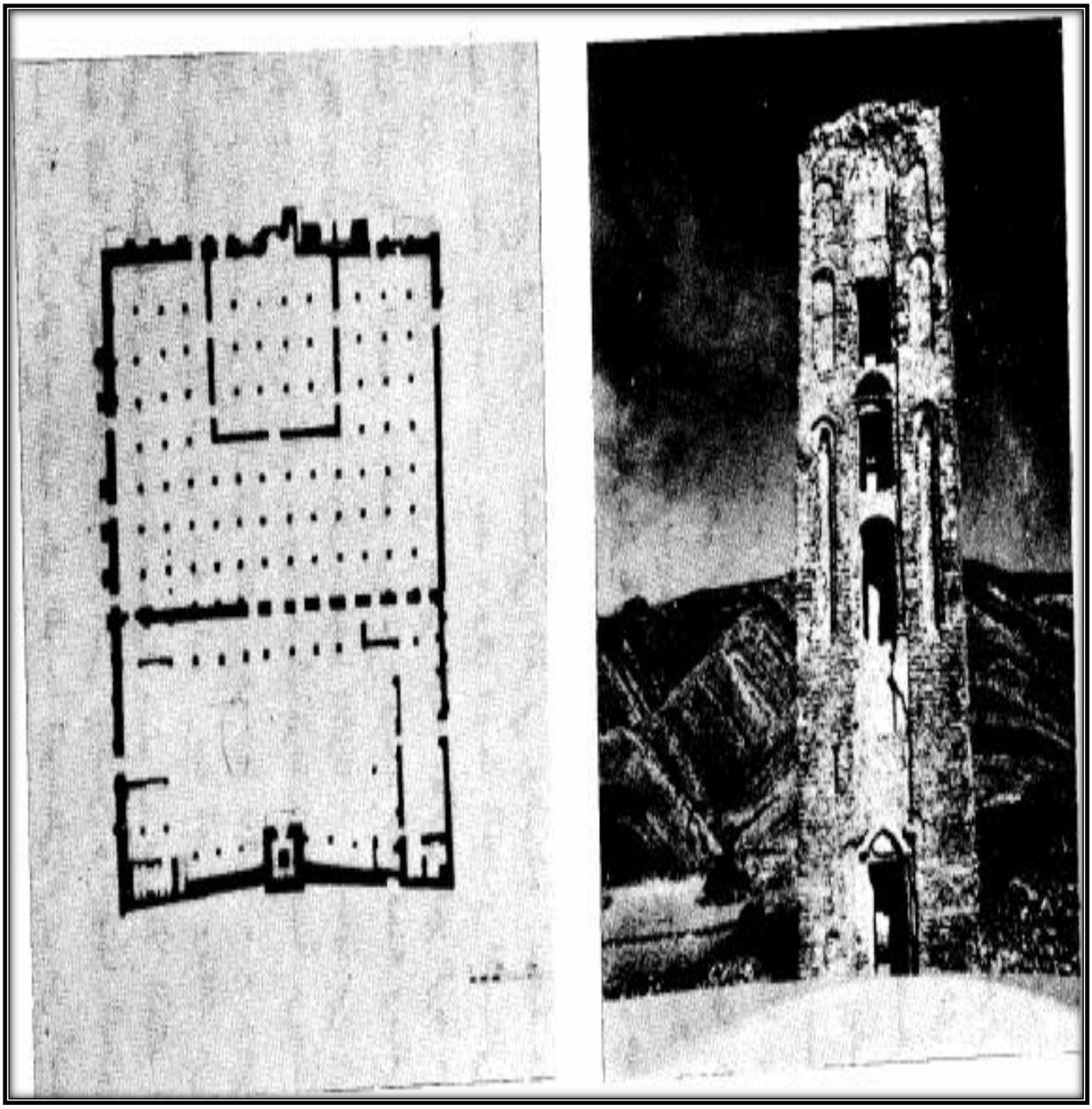

الملحق رقم (02): شكل يوضح مئذنة ومخطط جامع قلعة بني حماد

رشيد (بورويبة)، **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ... ص 211.

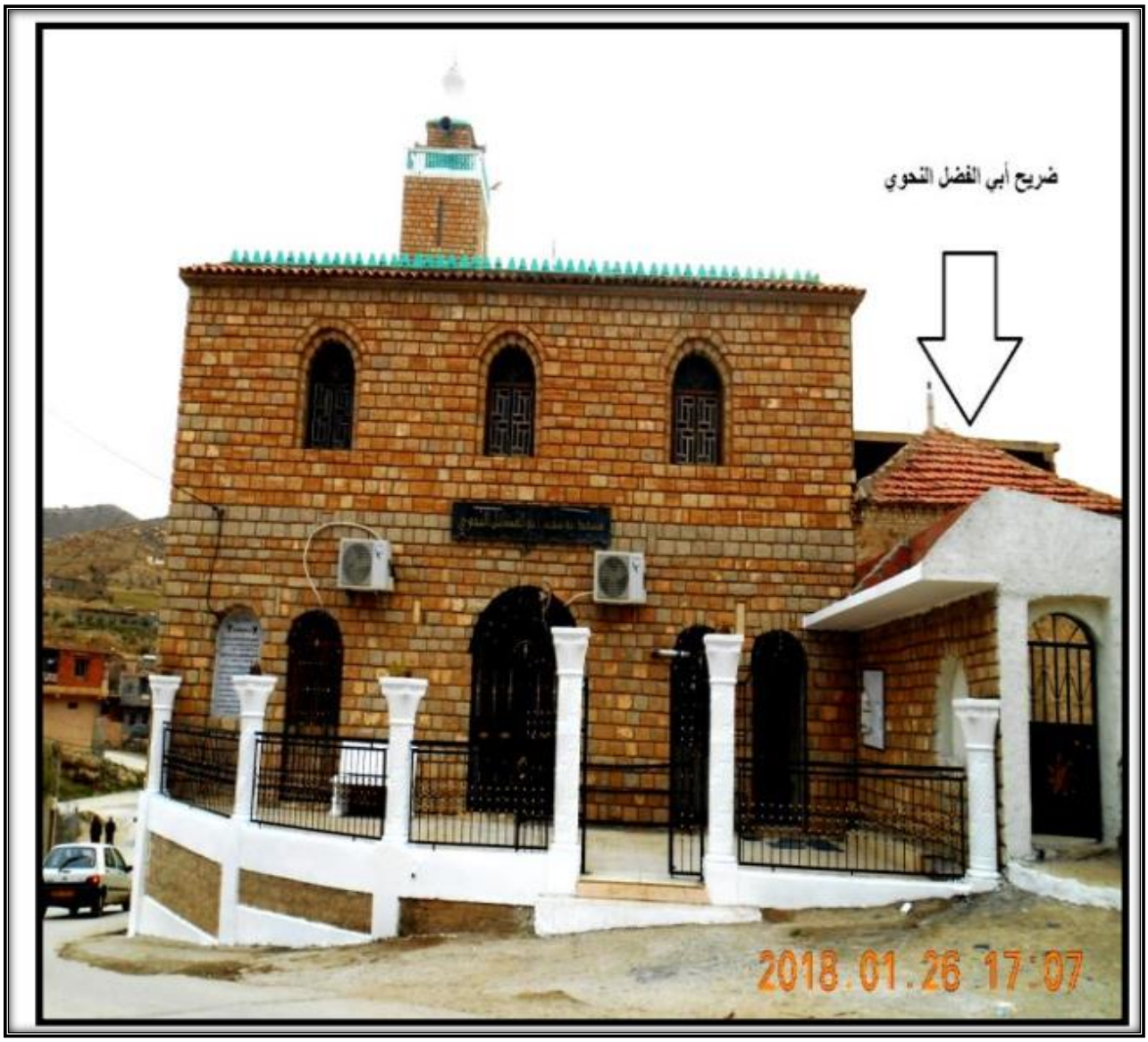

الملحق رقم (03): صورة توضح ضريح يوسف أبو الفضل النحوي بالمعاضيد

النذير (قوادرية)، **الآثار الريفية العقارية والمنقولة وإشكالية حمايتها واستغلالها سياحيا**، ... ص 296.

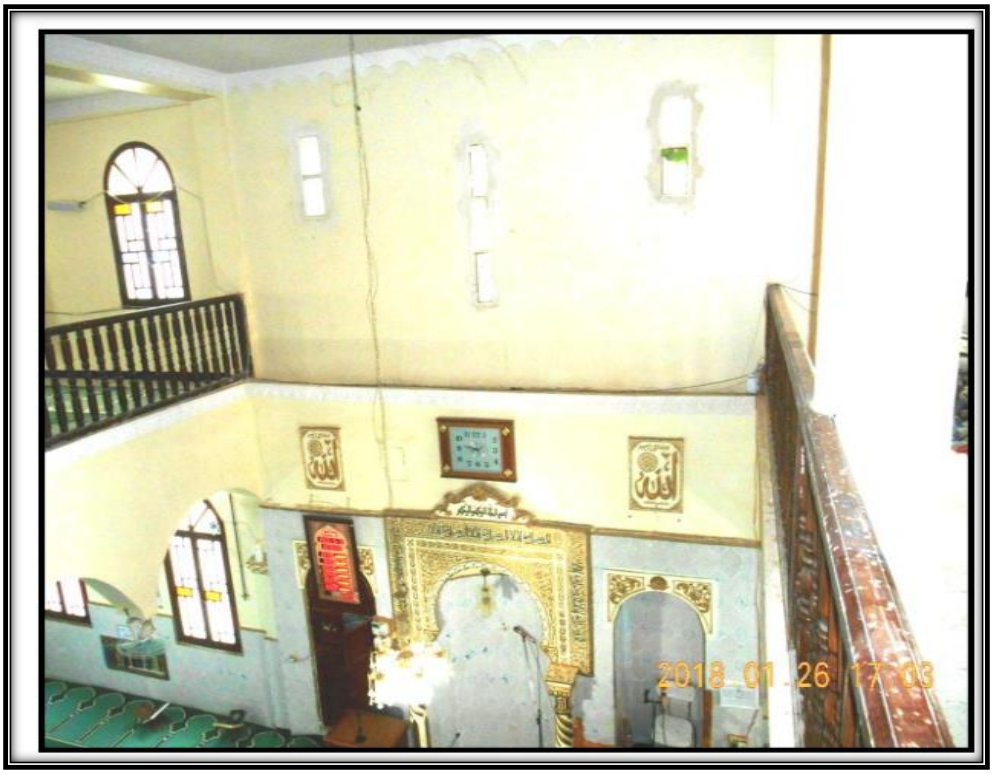

الملحق رقم (04): صور توضح مسجد يوسف أبو الفضل النحوي من الخارج ومن الداخل

النذير (قوادرية)، **الآثار الريفية العقارية والمنقولة وإشكالية حمايتها واستغلالها سياحيا**، ... ص 297.

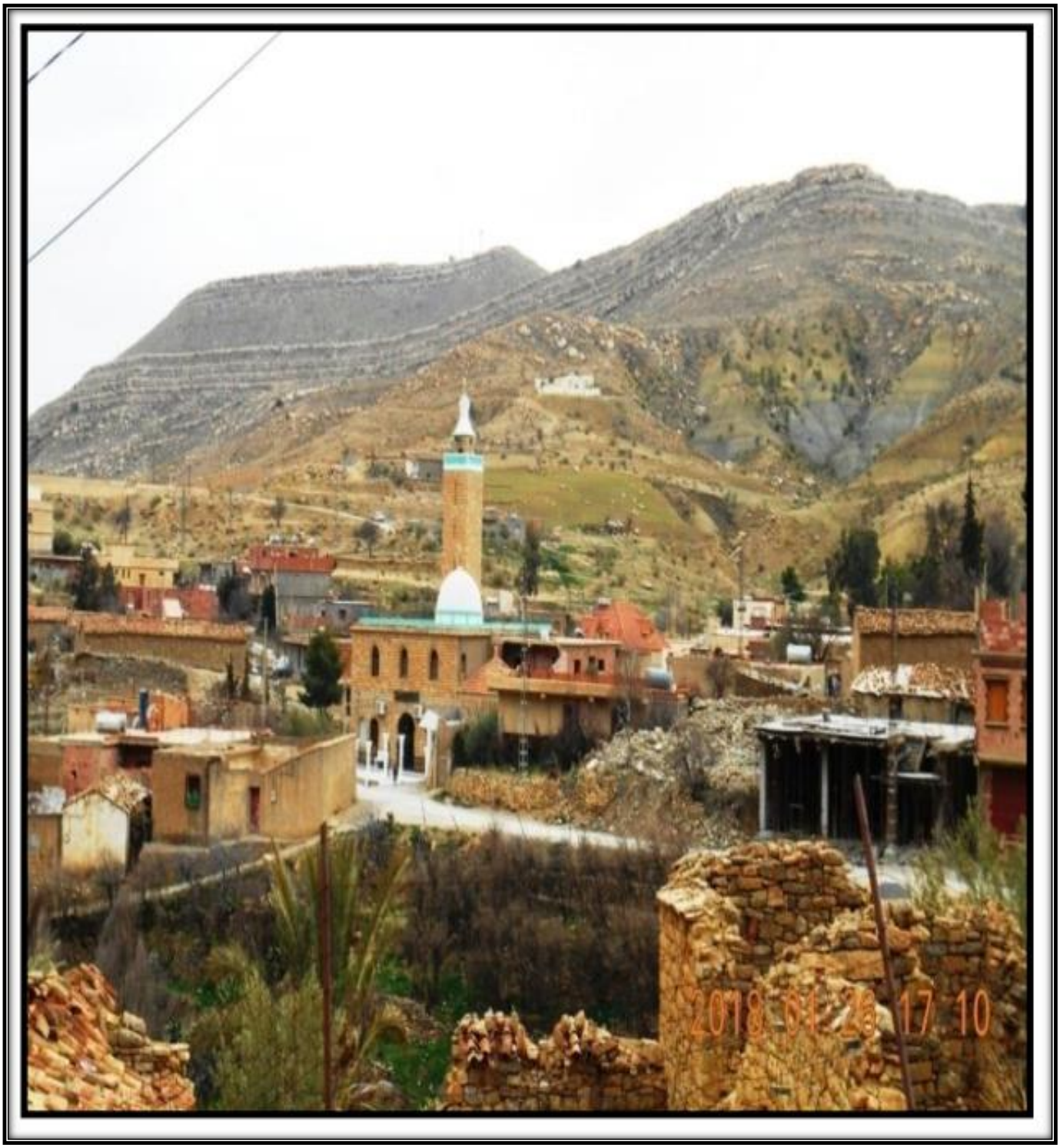

الملحق رقم (05): صورة توضح المنظر العام لقرية يوسف أبو الفضل النحوي بالمعاضيد النذير (قوادرية)، **الآثار الريفية العقارية والمنقولة وإشكالية حمايتها واستغلالها سياحيا**، ... ص 294.

أولا: في أكنـــــــاف القصيدة

1.قصيدة " المنفرجة " لابن النحوي:

1. إِشـــــتَدّي أزمَـــــةُ تَنفَرِجـــــي قَـــــد آذَنَ لَيلُـــــكِ بِـــــالبَلَجِ
2. وَظَـــــلامُ اللَّيـــــلِ لَـــــهُ سُـــــرُجٌ حَتّـــــي يَغشَـــــاهُ أَبُـــــو السُـــــرُجِ
3. سَـــــحَابُ الخَيـــــرِ لَهَـــــا مَطَـــــرٌ فَـــــإِذَا جَـــــاءَ الإِبَـــــانُ تَجـــــي
4. وَقَوائِـــــدُ مَولانـــــا جُمَـــــلٌ لِسُـــــرُوحِ الأَنفُـــــسِ والمُهَـــــجِ
5. ولَهـــــا أَرَجٌ مُحـــــي أَبَـــــدا فَاقصُـــــد مَحيَـــــا ذاكَ الأَرجِ
6. فَلَرُبَّمَـــــا فَـــــاضَ المحيَـــــا بِبِحُـــــورِ المَـــــوجِ مِـــــنَ اللُّجَـــــجِ
7. وَالخَلـــــقُ جَميعـــــاً فـــــي يَـــــدِهِ فَـــــذَوُو سِـــــعَةٍ وَذَوُو حـــــوَجِ
8. وَنَـــــزُولهُمُ وَظُلُـــــوعُهُمُ فَـــــإِلى دَرَكٍ وَإِلَـــــى دَرَجِ
9. وَمَعايِشُـــــهُم وَعَـــــواقِبُهُم لَيسَـــــت فـــــي المَشـــــي عَلـــــى عِـــــوَجِ
10. حِكَـــــمٌ نُسِـــــجَت بِيَـــــدٍ حَكَمَـــــت ثُـــــمَّ انتَسَـــــجَتْ بِالمُنتَسَـــــجِ
11. فَـــــإِذا اقتَصَـــــدت ثُـــــم انعَرَجَـــــت فَبِمقتَصِـــــدٍ وبِمُنعَـــــرِجِ
12. شَـــــهِدتَ لِعَجائِبِهـــــا حُجَـــــجٌ قامَـــــت بِـــــالأَمرِ عَلـــــى الحِجَـــــجِ
13. وَرِضـــــىً بِقَضـــــاءِ اللَّـــــهِ حَجـــــاً فَعَلَـــــى مَـــــر كُوزَيَـــــهِ فَعُـــــجِ
14. وَإِذا انفَتَحَـــــت أَبـــــوَابُ هُـــــدًى فاعجِـــــل لِخَزائِنِهَـــــا وَلِـــــجِ
15. وَإِذا حاوَلَـــــتَ نِهايَتَهـــــا فاحـــــذَر إِذ ذاكَ مِـــــنَ العَـــــرَجِ
16. لِتَكُـــــونَ مِـــــنَ السُـــــبَّاقِ إِذا مـــــا جِئـــــتَ إِلـــــى تِلـــــكَ الفُـــــرَجِ
17. فَهُنَـــــاكَ العَـــــيشُ وَبَهجَتُـــــهُ فَلِمُبـــــتَهِجٍ وَلِمُنـــــتَهِجِ
18. فَهِـــــجِ الأَعمَـــــالَ إِذا ركَـــــدَت فَـــــإِذا مـــــا هِجـــــتَ إِذاً تَهِـــــجِ
19. وَمَعاصِـــــي اللَّـــــهِ سَـــــماجَتُها تَـــــزدَانُ لِـــــذِي الخُلُـــــقِ السَـــــمِجِ
20. وَلِطَاعَتِـــــهِ وَصَـــــباحَتِها أَنـــــوَارُ صَـــــبَاحٍ مُنـــــبَلِجِ

21. مَـــن يَخطِـــب حُـــورَ الخُلْـــدِ بِهـــا يَضـــــفَر بِـــــالحُور وَبِـــــالغُنجِ[1]
22. فَكُـــنِ المَرضِـــيَّ لَهَـــا بِتُقَـــىً تَرضَـــاهُ غَـــداً وَتَكُـــونُ نَـــجِ
23.واتـــلُ القُـــرآنَ بِقَلْـــبٍ ذِي حَـــرقٍ وَبِصَـــوتٍ فِيـــهِ شَـــجِ
24. وَصَـــلاةُ اللَّيـــلِ مَســـافَتُها فاذهَـــب فِيهَـــا بِـــالفَهمِ وَجِ
25. وَتَأَمَّلهـــــا وَمَعانِيهَـــــا تَـــأتِ الفَـــردَوسَ تَتَفَـــرجِ
26. وَاشـــرَب تَســـنيمَ مَفجَّرِهـــا لا مُمتَزِجـــاً وَبِممتَـــزِجِ
27. مُـــدِحَ العَقـــلُ الآتِيـــهِ هُـــدىً وهَـــوىً مُتَـــوَلٍّ عَنـــهُ هُـــجِ
28. وكِتَـــابُ اللَّـــهِ رِياضَـــتُهُ لِعقُـــول الخلـــق بِمُنـــدَرِجِ
29. وَخِيـــارُ الخَلْـــق هُـــداتُهُمُ وَسِـــوَاهُم مِـــن هَمَـــجِ الهَمَـــجِ
30. واذا كُنـــتَ المِقـــدَامُ فَـــلا تَجـــزَع فـــي الحَـــربِ مِـــنَ الـــرَّهَجِ
31. وَإذا أبصَـــرت مَنَـــا رَهُـــدىً فـــاظهَر فَـــرداً فَـــوقَ الشَـــبَجِ
32. إذا اشـــتاقَت نَفـــسٌ وَجَـــدَت أَلَمـــاً بالشَّـــوق المُعـــتَلِجِ
33. وَثَنايـــا الحَســـنا ضـــاحِكَةٌ وَتَمـــامُ الضَّـــحكِ عَلـــى الفَلَـــجِ
34. وَعِيـــابُ السِّـــرِّ قَـــدِ اجتَمَعَـــت بِأَماتَيهـــا تحـــتَ الشَّـــرَجِ
35. والرِّفـــقُ يَـــدُومُ لِصَـــاحِبِهِ وَالخَـــرقُ يَصـــيرُ إِلـــى الهَـــرَجِ
36.صَـــلَوَاتُ اللَّـــهِ عَلـــى المَهـــدِي الهـــادِي النـــاسِ إِلـــي الـــنَّهَجِ
37.وَأَبـــي بكـــرٍ فـــي سِـــيرَتِهِ وَلِسَـــانِ مَقَالَتِـــهِ اللَّهَـــجِ
38.وَأَبـــي حَفـــصٍ وَكَرَامَتِـــهِ فـــي قِصَّـــةِ ســـارِيَةِ الخُلُّـــجِ
39.وَأَبـــي عَمـــرٍو ذِي النُّـــورَينِ المسُـــتَحيَا الـــبَهِجِ
40.وَأَبـــي حَسَـــنٍ فـــي العِلـــمِ إذا وافـــى بِسَـــحائِبِهِ الخُلُّـــجِ[1]

الملحق رقم (06): قصيدة المنفرجة

سعاد (غيابية)، **الإيقاع في قصيدة المنفرجة**، مذكرة لنيل شهادة الماستر...، ص ص 25-26.

قـائمة

المصـادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم**
- **الحديث النبوي الشريف**

قائمة المصادر والمراجع

1-المصادر:

- ابن أبي زرع (علي بن عبد الله)، **الأنيس المطرب برض القرطاس في أخبار وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
- ابن الأبار (محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضـــاعي البلنســـي)، **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق: عبد السلام المهراش، د.ط، ج3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1415هـ/1995م.
- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد)، **الكامل في التاريخ**، صححه، محمد يوسف الدقاق، ط1، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ت.
- ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن محمد)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ط1، مج9، دار صادر، بيروت، 1358هـ
- ابن الخطيب (لســـان الدين)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج4، ط1، تحقيق، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977
- ابن الخطيب (لسان الدين)، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، تحقيق: أحمد مختاري العبادي، ومحمد إبراهيم الكناتي، دار الكتاب، الدار البيضاء-الجزائر، د.ت.
- ابن الضـــياف (أحمد)، **إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس في عهد الأمان**، تحقيق: لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، د.ط، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1396هـ/1976م.
- ابن الطواح (عبد الواحد محمد)، **سـبك المقال في فك العقال**، تحقيق، محمد مسـعود جبران، ط2، كلية الدعوة الإسـلامية، منشـورات الدعوة الإسـلامية العالمية، طرابلس، 1376هـ.

- ابن بشـــكوال (أبو القاســـم خلف بن عبد الملك)، **الصـــلة (في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم)**، تحقيق: بشـــار عواد معروف، ط1، مج2، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010.
- ابن تومرت (محمد المهدي)، **أعز ما يطلب**، تحقيق، عمار طالبي، د.ط، المؤسســـة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.
- ابن خلـدون (عبـد الرحمن)، **ديوان المبتـدأ والخبر في تـاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج6، دار الفكر، بيروت–لبنان، 1421هـ/2000م.
- ابن عذارى (أبو العبـاس أحمـد بن محمـد المراكشـــي)، **البيـان المغرب في أخيـار الأنـدلس والمغرب**، حققه: إحســـان عباس، د.ط، ج4، دار الثقافة، بيروت–لبنان، د.ت، ص 59؛ حســـن بن علي بن محمد بن عبد الملك (الكتامي)، **نظم الجمـان لترتيـب مـا ســـلف من أخبـار الزمـان**، تحقيق: محمود علي مكي، ط2، در الغرب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
- ابن فرحون (إبراهيم بن نور الـدين)، **الـديبـاج المـذهـب في معرفـة أعيـان علمـاء المـذهـب**، تحقيق: مأمون بن محي الدين (الجنان)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1417هـ/1997م.
- ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء إســـماعيل)، **البدايـة والنهايـة**، ج7، د.ط، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت
- ابن مريم (حمد بن محمد أبي عبد الله)، **البستان في ذكر الأوليان والعلماء بتلمسان**، مرجعة، محمد أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، د.ت.
- ابن منظور (محمد بن مكرم)، **لســـان العرب**، د.ط، ج11، دار صـــادر، بيرت، 1990.

- أبو العباس أحمد بن خالد (الناصري)، **الاستقصاء (لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية)**، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء–المغرب، 1997.
- الأصفهاني (عماد الدين)، **خريدة القصر وجريدة العصر**، قسم شعراء المغرب، تحقيق: المرزوقي والمطوي الجيلالي، ط1، ج1، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1966.
- البغدادي (إسماعيل باشا)، **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، د.ط، ج2، وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، إسطنبول، 1900.
- البكري (عبيد الله)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة–مصر، د ت.
- بن حمادوش (عبد الرزاق)، **رحلة ابن حمادوش المسماة لسان المقال في النبإ والحسب والحال**، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، د.ط، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- بن سحنون (محمد)، **كتاب آداب المعلمين**، تحقيق، محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية، تونس، 1392هـ/1972م.
- البيذق (أبو بكر علي الصنهاجي)، **أخبار المهدي بن تومرت**، ترجمة، ليفي بروفنسال، المكتبة الشرقية، بول قوتنار، باريس، 1928.
- التلمساني (شهاب الدين أحمد بن محمد المقري)، **أزهار الرياض في أخبر عياض**، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، د.ط، ج3، مطبعة لجنة للتأليف والتفسير، 1361هـ/1942م.
- التنبكتي (أحمد بابا)، **نيل الابتهاج وتطريز الديباج**، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، ج1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس–ليبيا، د ت.

- الحموي (ياقوت)، **معجم البلدان**، ج4، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، 1984.
- الحميري (محمد عبد المنعم)، **الروض المعطار في أخبار الأقطار (معجم جغرافي مع فهارس شاملة)**، تحقيق، إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، ساحة رياض الفتح، لبنان–بيروت، 1985.
- الخطيب (محمد ابن مرزوق)، **المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن**، تحقيق، ماريا خيموس، 1981.
- الدباغ (عبد الرحمن أبو زيد بن محمد الأنصاري الأسدي)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيران**، تحقيق: محمد المضاوي، د.ط، ج3، المكتبة التونسية، تونس، د.ت.
- الديسي (محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي قاسم)، **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة فوفتانة الشرقية، الجزائر، 1234هـ/1906م.
- الذهبي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 2003.
- الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، د.ط، ج10، دار الهداية، د.ت.
- السبتي (موسى بن عياض)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، د.ط، ج8، المكتبة المغربية، المغرب، 1403هـ/1983م.
- السبكي (عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، د.ط، ج8، دار الإحياء للكتب العربية، د.ت.

- السخاوي (محمد بن عبد الرحمن شمس الدين)، **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، صححه وعلق على حواشيه: عبد الله محمد الصديق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1399هـ/1979م.
- السملالي (العباس بن إبراهيم)، **الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام**، مراجعة: عبد الوهاب ابن منصور، ط2، ج7، المكتبة الملكية، الرباط، 1413هـ/1993م.
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، ج2، دار الفكر، بيروت–لبنان، 1299هـ/1989م، ص 362.
- الشهرستاني (أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم)، **الملل والنحل**، تحقيق، السيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت.
- العجلوني (إسماعيل بن محمد الجراحي)، **كشف الخفاء ومزيل الألباس** "**عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**"، تحقيق: يوسف بن محمود الحاج أحمد، د.ط، ج1، مكتبة العلم الحديث، د.ت.
- الغبريني (أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت–لبنان، 1979.
- الغزالي (محمد بن محمد بن محمد)، **المنقذ من الضلال (والموصل إلى ذي العزة والجلال)**، تحقيق، جمال صليب وكامل عياد، ط7، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1967
- الغزالي (محمد بن محمد)، **مناهج العابدين إلى جنة العالمين**، ط1، عنى به بوجمعة عبد القادر مكري، دار المناهج، بيروت–لبنان، 1427هـ/2006م

- الفاسي (عبد الكريم التميمي)، **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد**، تحقيق: محمد الشريف، ط1، جامعة عبد الملك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة الأطاريح الجامعية، تيطوان، 2002.
- القسطنطيني (مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج2، مكتبة المثنى، بغداد، 1941.
- القضاعي (محمد بن عبد الله ابن الأبار)، **المعجم في أصحاب القاضي الصدفي**، تحقيق، إبراهيم الأنباري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1988
- الكتاني (عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس)، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق: عبد الله الكياني وآخرون، د.ط، ج2، دار الثقافة.
- الكلاذبي (أبو بكر محمد بن إسحاق)، **كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف**، تصحيح، أرتجون أربيري، ط1، الأثير مكتبة الخانجي، القاهرة، 1325هـ/1933م.
- مجهول، **الحلل الموشية في الأخبار المراكشية**، تحقيق، سهيل زكار عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1979
- مخلوف (محمد بن محمد)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ص127.
- المراكشي (عبد الواحد)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: محمد السعيد العريان، ج1، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالجمهورية العربية المتحدة، د.ت.
- المغراوي (أحمد بن أبي جمعة)، **جامع الجوامع اختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان**، تحقيق، أحمد جلولي البدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مكتبة المسجد، الجزائر.
- المكناسي (أحمد بن القاضي)، **جذوة الاقتباس (في ذكر من حل من أعلام مدينة فاس)**، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1973.

- مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب)**، د.ط، تعليق: سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية العامة، د.ت.
- النويري (عبد الوهاب)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: عبد الحميد ترحيني، ج24، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.
- الوزان (الحسن بن محمد)، **وصف إفريقيا**، ترجمة: محمد حاجي، محمد الأخضر، ط2، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1983.
- الونشريسي (أحمد بن يحي أبي العباس)، **المنهج الفائق والمنهل الرائق والمنعى اللائق بأدب الموثق وأحاكم الوثائق**، ج1، ط1، تحقيق، عبد الرحمن بن حمود بن عبد الرحمن، سلسلة الدراسات الفقهية، دار البحوث والدراسات الإسلامية، الإمارات، 1426هـ/2005

2-المراجع:

أ- المراجع باللغة العربية:

- أبو لحية (نور الدين)، **الاتجاهات الفكرية لجمعية العلماء المسلمين**، ط1، دار علي، الجزائر، 2015.
- إسماعيل وآخرون (عز الدين)، **نوابغ العرب الخمس (أبو حامد الغزالي إمام العق وحجة الإسلام)**، د.ط، دار العودة، بيروت، 1987.
- باجو (مصطفى)، **علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم**، ط2، منشورات سلسبيل، سلسلة البحوث في المذهب المالكي.
- البختي (جمال علال)، **الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن 7هـ**، ط1، مطبعة الخليج، 1424هـ/2003م.
- بدوي (عبد الرحمن)، **موسوعة الفلسفة**، ط1، مج2، منشورا ذوي القربى، د.ب، 1427هـ

- بدوي (عبد الرحمن)، **مؤلفات الغزالي**، ط2، وكالة المطبوعات، شـــارع فهم ســـالم، الكويت، 1977.
- برمنغهام (سبنسر)، **الفرق الصوفية في الإسلام**، ترجمة، عبد القادر البحراوي، دار المعرفة الجامعة، د.م، 1994.
- بروكلمان (كارل)، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة: الســـيد يعقوب، ط2، ج5، دار المعارف، كونيش النيل، القاهرة، 1911.
- بلغيث (محمد الأمين)، **الرباط بالمغرب الإســـلامي ودورها في عصـــر المرابطين والموحدين**، القافلة للتوزيع والنشر، الجزائر، 2013.
- بن عبد الله (عبد العزيز)، **معلمة التصوف الإسلامي (التصوف المغربي من خلال رحلاته)**، ط1، ج2، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2001.
- بن محمد (أحمد)، **المنفرجة لأبي الفضل يوسف ابن النحوي شرح أبي الحسن علي البصـــري**، تحقيق: أحمد بن محمد أبو رزاق، المؤســـســـة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- بوتشيش (إبراهيم القادري)، **الإسلام السرئ في المغرب العربي**، ط1، دار سينا للنشر، القاهرة، 1995.
- بورويبة (رشـيد)، **الدولة الحمادية تاريخها وحضـارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1977.
- بوعزيز (يحي)، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروســة**، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، د.ت.
- بونابي (الطاهر)، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7هـــ/12-13م (نشأته تياراته دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والســياســي)**، دار الهدى للطباعة والنشـر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، د.ت.

- بونار (رابح)، **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- البيلي (محمد بركات)، **الزهاد والمتصوفة في المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري**، دار النهضة العربية، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، 1992.
- جاد الله (منال عبد المنعم)، **التصوف في مصر والمغرب**، منهل المعارف بالإسكندرية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، د.ت.
- الجزائري (أبو بكر جابر)، **إلى التصوف يا عباد الله**، دار البصيرة، الإسكندرية، 1404هـ،
- الجيلالي (عبد الرحمن محمد)، **تاريخ الجزائر العام**، د.ط، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، المكتبة الجزائرية، الجزائر، 1384هـ/1960م.
- حجي (محمد)، **الرؤية الدلائية ودورها العلمي والديني والسياسي**، ط2، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، 1988.
- حسن (حسن إبراهيم)، **تاريخ الإسلام (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي)**، ج4، ط14، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1416هـ-1997م
- حسين (أسامة عبد الحميد)، **فقهاء الدولة المرابطية وإحراق كتب علوم الدين للإمام الغزالي**، مج1، ع1، قسم التاريخ، كلية التربية، سامراء، جامعة تكريت، السنة الأولى 1436هـ/2005م.
- حوالة (يوسف بن أحمد)، **الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس هجري)**، ط1، ج1، مكتبة الفهد الوطنية، مكة المكرمة-المملكة العربية السعودية، 2000.
- **دولة بني حماد صحفة مشرفة من التاريخ الجزائري**، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، د.ت.

- ديب (صـــفية)، **التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصـــر الموحدين بين القرنين 6-7هـ**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2011.
- رضـا (محمد)، **أبو حامد الغزالي (حياته وآراءه ومصـنفاته)**، مطبعة الوفد، مصـدر 1343، 1924م.
- روجي (الإدريسي هادي)، **الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10-12م)**، ترجمة: حماد السـاحلي، ط1، ج2، دار الغرب الإسـلامي، بيروت-لبنان، د.ت.
- سـعد الله (أبو القاسـم)، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830م)**، ط1، ج1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
- سـعد الله (أبو القاسـم)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ط1، ج1، دار الغرب الإسـلامي، بيروت-لبنان، 1998، ص 89.
- سيدي موسى (محمد الشريف)، **مدينة بجاية الناصرية (دراسة في الحياة الفكرية والاجتماعية)**، تقديم: محمد الأمين بلغيث، د.ط، دار الكرم للنشـر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- شـلبي (أحمد)، **التاريخ الإسـلامي والحضـارة الإسـلامية**، ج4، ط2، مكتبة النهضـة المصرية، القاهرة، 1977
- شـيمل (أنَّا ماري)، **الأبعاد الصـوفية في الإسـلام وتاريخ التصـوف**، ترجمة، محمد إسماعيل السيد، ط1، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، 2006.
- الصـبحي (أحمد محمود)، **التصـوف (سـلبياته وإيجابياته)**، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، 1911.
- الصلابي (محمد علي)، **الدولة الموحدية**، دار البيارق، عمان-الأردن، د.ت.
- الطمار (محمد)، **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، سلسلة الدراسات الكبرى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

- الظبي، **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، تحقيق: إبراهيم الأنباري، ط1، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت–لبنان، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1410هـ/1989.
- العبدري (محمد بن محمد بن سعود)، **رحلة محمد العبدري**، موقع مخطوطات الأزهر الشريف.
- عمارة (علاوة)، **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي**، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.
- عويس (عبد الحليم)، **دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر**، ط1، دار الشروق، الجزائر، 1980.
- غلاب (عبد الكريم)، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1426هـ/2005.
- فيلالي (عبد العزيز)، **تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية)**، ج2، الجزائر، 2002.
- قارة (مبروك بن صالح)، **أعلام المسيلة وبني حماد في العصر الوسيط**، القسم الثاني علماء بني حماد، ط2، دار علي بن زياد للطبع والنشر، حي المجاهدين، بسكرة، الجزائر، 2013.
- قاسم (عبد الحكيم عبد الغاني)، **المذاهب الصوفية ومدارسها**، ط2، مكتبة مدبولي، 1999.
- القاسمي (عبد المنعم)، **أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، ط1، دار خليل قاسمي، الجزائر.
- القرضاوي (يوسف)، **الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه**، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994.

- المتوني (محمد)، **إحياء علوم الدين في منظور الغرب الإسلامي أيام المرابطين والموحدين (أبو حامد الغزالي) دراسة في فكره وعصر وتأثيره**، سلسلة الندوات والمناظرات، رقم 9، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1988
- محفوظ (محمود)، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ط1، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، د.ت.
- محمد بن عبد الرحمن شمس الدين (السخاوي)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، د.ط، ج6، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- محمد عادل (عبد العزيز)، **التربية الإسلامية في المغرب (أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987.
- المعموري (الطاهر)، **الغزالي وعلماء المغرب**، الدار التونسية للنشر، نهج باب الخضراء، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، شارع زيغود يوسف، الجزائر، 1990.
- النجار (عبد الحميد)، **المهدي بن تومرت**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982.
- نسيب (محمد)، **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، دار الفكر، الجزائر، 1988.
- هلال (عمار)، **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (3–14هـ)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
- الولي (طه)، **المساجد في الإسلام**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان–لبنان، 1409هـ/1988م.

ب– المراجع باللغة الأجنبية:

– Houari Touati, **Islam et Voyage au moyen–âge**, paris, Seuril, 2000.

- Léon (de beylie), **Lakaaa des Beni-Hammad, (une capilal berber de L'afrique de Nord au XI sicle)**,paris, 1909.

3-المجلات والدوريات:

- بلعربي (خالد)، «**البنية العمرانية لقلعة بني حماد**»، **مجلة كان التاريخية**، ع5، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2009، ص28.
- بونابي (الطاهر)، «**نشأة وتطور الأدبي الصوفي في المغرب الأوسط**»، حوليات التراث، العدد 02، جامعة المسيلة، 2004.
- حروز (عبد الغني)، «**تراجم أبرز علماء قلعة بني حماد**»، دورية كان التاريخية، ع5، 2013، ص125.
- عباس (محمد نوري)، «**شرح قصيدة المنفرجة للإمام أبي الحسن علي بن يوسف البصوري المتوفي (ت905هـ)**»، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج 20، ع 07، تموز 2013، ص ص 67-154.

4-المعاجم والموسوعات:

- ابن قنفذ (أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب)، **الوفيات (معجم زماني الصحابة والأعلام والمحدثين والفقهاء والمؤلفين من سنة 11-807هـ)**، تحقيق: عادل نويهض، ط4، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/1983م.
- الحكيم (سعاد)، **المعجم الصوفي**، ط1، دندرة، د.م، 1981.
- الزركلي (خير الدين)، **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)**، ط5، ج1، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 2002.
- سركيس (يوسف أليان)، **معجم المطبوعات العربية والمعرّبة (وهو شامل لأسماء الكتب في الأقطار الشرقية والغربية مع ذكر أسماء مؤلفيها ولمن ترجمتهم وذلك يوم ظهور الطباعة إلى نهاية السنة الهجرية 1339هـ الموافقة لسنة 1919م)**، د.ط، ج1، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، د.ت.

- شـــهاب الدين (أحمد بن علي بن حجر أبو الفضـــل)، **المجمع المؤســـس للمعجم المفهرس**، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1413هـ/1992م.
- **المعجم الوسيط**، ط4، ج1، مكتبة الشروق الدولية، 2004.
- نويهض (عادل)، **معجم أعلام الجزائر (من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر)**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت-لبنان، 1400هـ/1980م.

5-الملتقيات والمؤتمرات:

- بونابي (الطاهر)، **الدولة المركزية في قلعة بني حماد بمناســبة عشــرينية جامعة المســيلة**، أعمال الملتقى الوطني الأول، كلية الآداب واللغات، جامعة المســيلة، الجزائر، 26-27 أفريل 2005.

6-الرسائل الجامعية:

أ- أطروحات الدكتوراه:

- بونابي (الطاهر)، **الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرن (8-9هـ/14-15م)**، أطروحة دكتوراه في العلوم في التاريخ الإســلامي الوســيط، قســم التاريخ، 1429-1430هـ/2008-2009م.
- فلاح (إسماعيل بن أحمد)، **العلاقة بين التشيع والتصوف**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، كلية الدعوة وأصول الدين، السعودية، 1411هـ.
- قوادرية (النذير)، **الآثار الريفية العقارية والمنقولة وإشــكالية حمايتها واســتغلالها سياحيا -منطقة الحضنة أنموذجا-**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الريفية والصحراوية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2017-2018.

ب-رسائل الماجستير والماستر:

- بوسعيدة (عفاف)، **قصيدة المنفرجة لأبي الفضل النحوي**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، تخصص: أدب عربي، دراسة أسلوبية، قسم اللغة والآداب العربي، كلية الأدب واللغات، جامعة المسيلة، 2013-2014.
- دبدوب (محمد)، **مساهمة الحركة الصوفية في المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ببلاد المغرب الإسلامي وتفاعلاتها خلال القرنين (3-5هـ/9-11م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، الجزائر، 2000-2001.
- غيابة (سعاد)، **الإيقاع في قصيدة المنفرجة**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغات العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2012-2013.
- مختاري (أسماء)، **قلعة بني حماد الوزن السياسي والدور الحضاري في العهد الحمادي**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، الجزائر، 2014-2015.
- مكاتي (توهامي)، **الدولة الحمادية بالمغرب الأوسط وعلاقاتها الخارجية (405-547هـ/1014-1152م)**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، جامعة سعيدة، الجزائر، 2014-2015.

7-المواقع الإلكترونية:

- https://ar.wikipedia.org/wiki /
- www.almaany.com

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة .....

الفصل التمهيدي

استقرار أبو الفضل النحوي بقلعة بني حماد وتنقلاته بين مدن المشرق والمغرب

تمهيد 08

أولا: الجذور الأولى للحماديين بالمغرب الأوسط 09

أ-موقع قلعة بني حماد 09

ثانيا: ازدهار الدولة الحمادية في المغرب الأوسط 10

أ-سقوط الدولة الحمادية..... 11

ب-بروز شخصية يوسف أبو الفضل النحوي بالقلعة 12

ج-ظروف مجيء ابن النحوي إلى قلعة بني حماد ووفاته بها..... 12

ثالثا: المدن الإسلامية التي زارها يوسف أبو الفضل النحوي..... 13

أ-لمحة تاريخية عن مدينة توزر 13

ب-لمحة تاريخية عن مدينة مكة المكرمة 13

ج-لمحة تاريخية عن مدينة فاس 14

د-لمحة تاريخية عن مدينة سجلماسة 15

الفصل الأول

المكانة العلمية ليوسف أبو الفضل النحوي في المغرب الإسلامي

تمهيد 17
أولا: شيوخ يوسف أبو الفضل النحوي وتلاميذه 19
1-شيوخه 19
أ-أبي زكريا الشقرطاسي 19
ب-عبد الله المازري 20
ج-عبد الجليل الربعي المعرف بالدياجي (639-715هـ/1241-1315م) 21
2-تلاميذ يوسف أبو الفضل النحوي 22
2-1-أبو عمران موسى بن حماد الصنهاجي 22
2-2-أبو محمد عبد الله بن سليمان التاهرتي (ت553هـ/1158م)..... 23
2-3-أبو عبد الله محمد بن علي المعروف بابن الرمامة (478-567هـ/1085-1171م) 23
ثانيا: الرحلات العلمية ليوسف أبو الفضل النحوي 24
1-رحلة يوسف أبو الفضل النحوي المشرقية..... 25
1-1-رحلته إلى الحجاز 25
2-رحلة يوسف أبو الفضل النحوي المغربية 26
2-1-رحلته إلى المغرب الأوسط (قلعة بني حماد)..... 26
2-2-رحلته إلى المغرب الأقصى (الرحلة إلى سلجماسة والرحلة إلى فاس) 27
أ-الرحلة إلى سجلماسة..... 27

ب-الرحلة إلى فاس 28

ج-العودة إلى قلعة بني حماد 29

ثالثا: موقف يوسف أبو فضل النحوي من العلامة أبو حامد الغزالي (كتاب الإحياء)..... 30

1-الغزالي وإحياء علوم الدين 30

2-قضية إحراق كتاب إحياء علوم الدين 33

3-موقف يوسف أبو الفضل النحوي من الإمام الغزالي وكتابه الإحياء 35

رابعا: مؤلفات يوسف أبو الفضل النحوي (قصيدة المنفرجة) 38

1-قصيدة المنفرجة..... 38

2-الظرف التاريخي لقصيدة المنفرجة..... 38

3-نسب المنفرجة لأبي الفضل النحوي وتضارب آراء العلماء حولها 39

3-1-ناظمها 39

3-2-من العلماء الذين أيدوا نسب المنفرجة لأبي الفضل النحوي..... 40

3-3-من العلماء الذين شككوا في نسب المنفرجة لأبي الفضل النحوي.

..... 40

3-4-من العلماء الذين أبطلوا نسب المنفرجة لابن النحوي..... 41

3-5-من العلماء الذين عارضوا قصيدة المنفرجة..... 42

4-تعدد مسميات قصيدة المنفرجة 42

4-1-سميت قصيدة المنفرجة..... 42

4-2-القصيدة النحوية..... 43

4-3-قصيدة أم الفرج..... 43

4-4-قصيدة تسيير الأرب وتفريج الكرب..... 43

4-5-قصيدة الفرج بعد الشدة..... 43

خامسا: عناية علماء الإسلام بقصيدة المنفرجة..... 43
خلاصة..... 48

الفصل الثاني

المكانة الروحية ليوسف أبو الفضل النحوي في المغرب الإسلامي

تمهيد..... 50
أولا: مفهوم التصوف..... 51
ثانيا: طرق انتشار التصوف في المغرب الأوسط..... 53
أ-من الناحية السياسية 53
ب-من الناحية الاجتماعية 54
ج-من الناحية الدينية..... 55
1-نزعة الزهد 55
2-انتشار الربط 56
3-المؤلفات الصوفية..... 58
ثالثا: أهم المتصوفة المعاصرين ليوسف أبو الفضل النحوي 59
أ-أبو حامد الغزالي (ت505هـ/1111م)..... 59
ب-عبد السلام التونسي (ت518هـ/1126م) 59
ج-أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى ابن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن عريف (ت530هـ/1138م) 60
د-أبي بكر بن العربي (ت543هـ/1148م)..... 60
هـ-أبي الحسن بن علي بن حرزهم (ت559هـ/1164م)..... 61
و-أبو صلاح عبد القادر الكيلاني (ت560هـ/1165م) 61
ز-أبو يعزى يلنور (ت572هـ/1176م)..... 61

ح-محمد ابن علي بن جعفر المعروف بابن الرمامة (ت576هـ/1180م) 62
ط-أبو علي حسن بن علي المسيلي (ت580هـ/1185م) 62
ك-عبد الحق البجائي (ت582هـ/1186م) 62
ل-أبو علي سالم بن سلامة السوسي (ت590هـ/1195م) 62
م-أبو موسى حسين بن عبد العزيز الجزولي (ت607هـ/1211م) 63
ن-أبو عبد الله الدقاق (ت685هـ/1289م) 63
س-محمد بن محمد بن أبي القاسم (القرن السابع) 63
رابعا: دور المتصوفة في الحياة الثقافية 64
أ-دور المتصوفة في إقامة الزوايا 64
ب-دور الصوفية في التعليم 65
1-تعليم الصبيان 65
2-تعليم الشباب 66
3-التعليم الشعبي 67
خامسا: الكرامات الصوفية عند يوسف أبو الفضل النحوي 67
أ-مدلول الكرامة الصوفية 67
ب-الكرامات الصوفية عند يوسف أبو الفضل النحوي 69
1-الزهد عن يوسف أبو الفضل النحوي (التقشف واللباس الخشن من الصوف واللباس الأبيض) 69
2-الغيبة مع الله عز وجل (الخشوع في الصلاة) 70
3-استجابة الدعاء 70
4-ظاهرة الاعتقاد والتبرك 72
5-عدم قبول هدايا الناس 73
6-كرامة الوضوء 73

-خلاصة 74
خاتمة 76
الملاحق 79
قائمة المصادر والمراجع..... 87
فهرس المحتويات..... 103

ملخص الدراسة

ملخص الدراسة:

في الأخير نستنتج أن يوسف أبو الفضل النحوي شخصية مغربية تميزت بمكانة فكرية في القلعة الحمادية من خلال مساره العلمي الذي عرف بشيوخ ابن النحوي وتلاميذه والرحلة العلمية التي قام بها إلى الحواضر الإسلامية، إضافة إلى مناصرته إلى الإمام الغزالي وقصيدة المنفرجة التي تفيض بالحكمة والموعظة.

كما احتل ابن النحوي مكانة في الوسط الصوفي من خلال الكرامات الصوفية التي تميز بها وكتاب الإحياء الذي عكف على تدريسه مؤثرا في كوكبة من العلماء، وما زال ضريح ابن النحوي قائم في القلعة يحظى باحترام وتقدير سكان المعاضيد.